

للحصول المجاني على اصدارات أ.د. لطيفة الكندري (من سلسلة تربية الأبناء) الرجاء مراجعة الأمانة العامة للأوقاف – منطقة الدسمة-ق6-ش المنقف-مدرسة الجاحظ سابقا

سلسلة تربية الأبناء السابعة

فن الصداقة الأسرية

---

## كيف أكون صديقة لأمي؟

أ. د. لطيفة حسين الكندري

أ. د. بدر محمد ملك



## المحتويات

1	المحتويات.....
3	المقدمة.....
4	الفصل الأول: مرتكزات.....
4	أهمية الصداقة للصحة العامة.....
7	لماذا أكون صديقة لأمي؟.....
11	لا لعقوق الأمهات.....
13	أنواع الصداقة.....
17	من منافع الصداقة.....
19	فضلهما عظيم وبرهما نعيم.....
23	وظائف الأسرة.....
25	فسيولوجية الأم بعد سن الطمث.....
27	الفصل الثاني: ممارسات.....
27	صفات البنت الصديقة لأمها.....
30	فنون الصداقة.....
34	فتور العلاقات.....
38	جددي فكري تتألق صداقتك.....
42	سوء التفاهم مع الأم.....
45	التشاور طريقك لصداقة أملك.....
48	الشفافية مع الأم.....
50	ممارسات خاطئة.....
51	الشدائد تصفي الصداقات وتنقيها.....
53	الفرق بين الأخلاق والآداب.....
55	صداقة لا تنقطع في الأسواق.....
57	خلافات بين الأم وابنتها بشأن المبالغة في اللبس.....
60	فضل الهدية.....
63	الاستقلالية لا تتعارض مع الصداقة.....
64	نقد غرائب الأخبار الضارة.....

66.....	الفصل الثالث: محفزات.
66.....	نماذج نجحت في تكوين تواصل أسري ناجح.
66.....	النصيحة العسلية.
67.....	أبو هريرة يصنع الصداقة مع والدته.
69.....	أسماء تحسن صحة أمها.
69.....	أويس صاحب الدعاء المستجاب.
69.....	حزن والدته أشد عليه الضرب.
70.....	ابنة أم الأطباء العرب.
71.....	تمارين.
73.....	الخاتمة.
74.....	أهم المراجع العربية.
77.....	أهم المراجع الأجنبية.

## المقدمة

تهدف صداقة البنت لوالدها إلى إرضاء الله سبحانه، وصلته الرحم، والإحسان إلى أقرب الناس، وإسعاد النفس، واكتشاف أعماق الذات، وتجاوز الصعاب، والتشاور، واكتساب مهارات التكيف مع مرحلة الطفولة والمراهقة ثم لاحقاً الاستفادة من صداقة الأم كمدخل لفهم أساسيات الحياة الزوجية وأسرار تربية الأبناء ورعايتهم رعاية حسنة. الصداقة داخل البناء الأسري من أهم أركان التدعيم الاجتماعي والاستقرار النفسي لبث الشعور الإنساني الرفيع، وهي تبدأ في التزايد والتعمق كلما تقدم المرء في السن وكلما نضجت خبراته حتى تسيطر فكرة الولاء والوفاء والعطاء على أقطار نفسه فيسود الجود والإحسان في النفوس. وعلى الرغم من كثرة ما كتب عن هذا الجانب، وعلى الرغم من أهمية هذا الأمر تربوياً إلا أن قلة من الكاتبتين خصصوا كتبهم لتناول الصداقة الأسرية بشكل مباشر ومتخصص لا سيما موضوع توثيق أواصر الصداقة بين البنت وأمها.

من التصورات الخاطئة لدى بعض الفتيات أن مشروع إقامة علاقة صداقة تربط الأم بابنتها مشروع غير ممكن لأنه يحده من حرية البنت وتنقص من قدر الذات، ولكن الحقيقة بخلاف ذلك تماماً. تهدف الصداقة الأسرية إلى صبغ القرابة بمحاسن الصداقة وإضفاء المزيد من التقارب والنضج لشخصياتنا وحركتنا الاجتماعية. الصداقة الأسرية تزيد من حريتنا وتوسع من ملكاتنا الفكرية، واستعداداتنا النفسية وتقلص المشاحنات الأسرية. الصداقة الحقيقية متعادلة المنافع متبادلة الأهداف تزيد روابط الأسرة نورا على نور.

وعبر تفحص قصص الماضيين واللاحقين فإننا نجد أن أمماً واحدة تقدم الخير لجميع أبنائها وتنجح في ذلك ولكن مجموع بناتها وأولادها لاحقاً قد يعجزون عن الوفاء ببعض حقها ويكون جزاء الإحسان النكران. أم واحدة تقوم بالحمل والوضع والرضاع والرعاية والتربية والتعليم وتدفع بأبنائها وبناتها نحو العزة والبقاء وتعاني من أجل مستقبل أفضل لأبنائها وهذا قمة الوفاء لرسالتها كأم. عطاء الأم بلا حدود وكذلك الإحسان إليها يجب أن يتحرر من الضجر والتأفف وجميع القيود.

تشكل القيم الاجتماعية (Social Values) شطراً كبيراً من ذواتنا وتأتي الصداقة في مقدمتها فهي تهب الفرد حصيلة رصينة من الأمن والقرب والود والثقة والتقدير والقوة والتعاون والترفيه. رغم أهمية الصداقة كمهارة من مهارات الحياة إلا أن التعليم النظامي لا يركز عليها فنحن نتعلم أسسها من مدرسة الحياة عبر التجارب اليومية وعن طريق تربية لا نظامية (Non formal Education). وإذا كانت الأمور تتضح بأضدادها فعكس الصداقة العزلة وهي آفة تستطيع أن تمزق شمل الأسرة وتهددها في كل الأوقات وعلى جميع المستويات.

من صحبة الأم تأخذ الفتاة خصوصيتها كأنثى وتأخذ منها مشاعر الرقة والجمال والحياء والتجمل بلا إسفاف. إنها الأم صحبتها شرف، ومحبتها هدف. وصدق حافظ إبراهيم شاعر النيل في قوله:

الأمُ مدرَسَةٌ إذا أَعَدَّتْهَا      أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ  
الأمُ رَوْضٌ إن تَعَهَّدَهُ الحَيَا      بالرِّيِّ أَوْزَقَ أَيْمًا إِيْرَاقِ  
الأمُ أُسْتَاذُ الأَسْـانِدَةِ الأُلَى      شَعَلَتْ مَأْثُرُهُمْ مَدَى الأَفَاقِ

هذه الجزء من السلسلة التربوية السابعة مهم لأسباب عدة منها أن الخطاب موجه للمرأة وللمرأة مكانتها الرفيعة في الفكر الإسلامي. الحاجة إلى تكوين ثقافة تربوية صحيحة لتنمية شخصية المرأة المسلمة أضحت ضرورة في عصرنا الحالي نظرا لشيوع موجات الإفراط والتفريط في هذه المسألة.

الصدقة الأسرية ليست بديلة عن الصداقات الأخرى خارج المنزل بل تلتقي في غاياتها ولا تتناقض في أغراضها. وفق هذا النسق القيمي تتناغم المشاعر وتتنامى العلاقات الإنسانية الرفيعة بين البنات والأمهات لتصبح في مصاف أهم وأعز وأعلى ما يملك الفرد على هذه الأرض. في هذا الجزء من السلسلة السابعة لتربية الأبناء نتوقف عند مجموعة آليات وتوجيهات يمكن أن تستعين بها الفتاة لتحقيق مآربها في بناء شخصية واعية متوازنة عبر بوابة التواصل مع أمها أملا في تنمية أسرية حقيقة على أسس متينة ومن خلال خطوات عملية تعين على مواجهة مصاعب الحياة ومواقفها المتجددة.

## الفصل الأول: مرتكزات

### أهمية الصداقة للصحة العامة

الصدقة الأسرية من مفاتيح بناء كيان مكين يفسح المجال لحسن التعامل المهذب بين أعضاء الأسرة. بناء شامخ يعادي الإحباط والشعور بالعزلة ويصد هجمات القنوط والوحدة ويرفض التشاؤم. تتشوق الأم إلى من يصاحبها فيزيل وحشة الوحدة عنها، ويواسيها في أيامها وآلامها، ويعينها في كفاحها، والبنات أفدر على فهم الأم وأسرع في تلبية حاجاتها. توفر علاقات الصداقة إسنادا لا يُستهان به؛ إذ "تساعد على تجنب الشعور بالوحدة الذي يسبب الشعور بالقلق والملل، وانخفاض تقدير الذات. وعلى مقدار ما تكون شبكة العلاقات الاجتماعية كثيفة، يستطيع المرء التخلص من تلك المشاعر.

وعلاقات الصداقة الأشد تأثيراً في تخفيف العناء، هي تلك العلاقات الحميمة التي تُسقط الكثير من التكلّف، وتوفر مظلةً أمنية واقية من أهوال الأحداث المفاجئة غير السارة" (بكار، 1428هـ).

من أبرز خصائص الأسرة الإنسانية أنها اجتماع يقوم على المودة، ينشأ وينمو في جو من عواطف الحب ومشاعر الحنان والاحترام والإيثار والرغبة الصادقة بتحمّل المسؤولية. إن جميع الأدوار الأسرية تحدث في سياق وجداني واجتماعي لنماء شخصية الفرد لأداء أدواره الحيوية بفاعلية وتحميه من المشكلات وتعيّنه في الأزمات.

إن الصداقة تقلص الوحدة وتشعرنا بجمال الوجود وتحقق الإشباع العاطفي والتكاتف الاجتماعي. الإحساس بالوحدة مشكلة لا يرجى لها شفاء إلا بالتواصل الإنساني. الصحة الإيجابية عافية للبدن ورحمة للنفس فتعيّنها في تفريغ شحنة التوترات النفسية على نحو سليم والصداقة من أسباب طول العمر وفي الأثر "صلوا أرحامكم فإنه أبقى لكم في الحياة الدنيا، وخير لكم في آخرتكم". ولقد ثبت أن صلة الرحم يزيد في العمر فقد ورد في الحديث الشريف "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثرة في المال، منسأة في الأثر". وقوله "مثرة في المال": سبب لكثرتة. وقوله "منسأة في الأثر": تأخير في الأجل وتطويل في العمر. التفاعل الدافئ مع الآخرين يعيد مستويات كيمواويات الاستثبات في الدماغ والجسم إلى حالاته المثلى. احتضان الأم أو الأخت أو الزوج ولمسات المحبة الدافئة تسبب بإطلاق الأوكسيتوسين في الجسم. وهذا يشعر بالهدوء ويعمل على إحداث تهدئة طبيعية في الدماغ مما ينشطه (لاند ويانكسب، 2010م، ص 268-269).

ومن جانب آخر فإن الصداقة سلاح له فاعلية كبيرة في مقاومة الأمراض، ومعالجة الاكتئاب وله دور ملحوظ في سرعة التماثل للشفاء، وله شأن في أن يقلل من سرعة الشيخوخة فهو فعلاً سلاح يغفل عنه معظم الناس (Parker-Pope, 2009). إن الاكتئاب يمكن أن يسبب تلفاً في الدماغ وخطراً ظاهراً على نفسية الفرد. وفي بحث ميداني عن الصداقة تطرق إلى أن الصداقة الحقيقية قد تساعد في إطالة العمر وزيادة كفاءة جهاز المناعة. نشرت وسائل الإعلام العالمية ملخصات لدراسات طبية تربط الصداقة بالصحة العامة. وجدت دراسة أن عقد صداقات ناجحة يعد عاملاً قد يساهم في إطالة العمر. ويقول الباحثون إن الدراسة، التي اعتمدت على مراجعة 148 دراسة مختلفة حول العلاقات الاجتماعية والوفيات، وجدت أن من يتمتعون بعلاقات اجتماعية قوية، ارتفعت بينهم احتمالات طول العمر.

ويؤكد البحث العلمي ما كشفته دراسات سابقة بأن الصداقة تعتبر مصدراً هاماً من مصادر السعادة الحقيقية، ولا تقل أهمية عن السعادة التي تولدها الحياة العائلية، وتزداد أهمية الصداقة مع التقدم بالعمر. العلاقات الاجتماعية ينبغي أن تؤخذ على محمل الجد. قام الباحثون بقياس العلاقات

الاجتماعية بعدد من الطرق، من بينها النظر إلى حجم الشبكة الاجتماعية للمشارك، وإذا ما كان متزوجاً أم يعيش عازباً، بالإضافة إلى تقدير مفهوم العلاقات بالنسبة للمشاركين، وكيفية اندماجهم في الشبكات الاجتماعية أو المجتمعية. علاقتنا يمكن أن تؤثر على صحتنا بطرق شتى، على سبيل المثال، يمكن أن تساعدنا على التعامل السليم مع الضغوط العصبية التي قد يكون لها تأثير سلبي كبير.

ويرى الخبراء في الدراسة، التي نشرت في دورية PLOS الطبية، أن الصديق يوفر الدعم الاجتماعي من جهة، والإرشاد، والمساعدة المادية، لأن العلاقة مستمدة من الثقة المتبادلة بين الطرفين، إضافة إلى ذلك فإن الروابط المشتركة بين الأصدقاء تجعلهم يقضون وقتاً ممتعاً حتى في الأوقات العصبية. وكانت دراسات سابقة قد وجدت أن سر طول العمر هو زيادة عدد الأصدقاء، وأن الحياة الاجتماعية النشيطة تزيد من كفاءة جهاز المناعة. لاحظ الباحثون في علم النفس والتربية والاجتماع أنه على الرغم من أن المشاعر الإيجابية الشاملة تزداد إلى حد ما مع ارتفاع الدخل الاقتصادي للفرد وحياة الرفاهية، إلا أن هذا الإحساس أكثر ارتباطاً بعوامل أخرى لا صلة لها بالمادة بل ذات صلة كبيرة بالجوانب الروحية والعاطفية والاجتماعية، مثل الإحساس بالاحترام، والتمتع بالاستقلال الذاتي والدعم العاطفي والاجتماعي من الأصدقاء والأسرة، إلى جانب الرضا الوظيفي والتوافق بين معتقدات الفرد الدينية والأخلاقية ومجريات الحياة التي يعيشها.

ونشرت وسائل الإعلام العالمية أيضاً دراسة علمية مفادها أن الوحدة قد تكون معدية، إذ يمكن للشخص الذي يعاني من الوحدة أن "يعدي" بها من حوله. وخلصت الدراسة إلى أهمية الصداقة في حياتنا اليومية. إن صديق الشخص الذي يعاني من الوحدة معرض بنسبة 52% لأن يعاني من الوحدة، كما أن صديق الصديق معرض بنسبة 25%، وصديق صديق الصديق معرض بنسبة 15%. كما أظهرت الدراسة أن من يعانون من الوحدة، هم الأرجح من يعيشون دون أصدقاء، ولهم القدرة على خسارة الأصدقاء باستمرار. وأظهرت الدراسة أن العدوى أقوى من الشخص الذي يعاني من الوحدة إلى صديقه، ثم إلى جاره، غير أنها تنخفض بين الأزواج والأخوة، كما تنتقل بشكل أقوى من النساء إلى الرجال. الذين يعانون من الوحدة يتصرفون بطرق سلبية مع الأشخاص الذين يتفاعلون معهم، مما قد يساهم في نقل ذلك السلوك. وقال خبراء إن الدراسة تعكس خطورة الشعور بالوحدة، والحاجة إلى التواصل، بدلاً من اللامبالاة ونبت تلك الفئة، مشيرين أن الناس يمكنهم التواصل مع أحبائهم ممن يعانون من الوحدة عوضاً عن الابتعاد عنهم.

## لماذا أكون صديقة لأمي؟

1. درجات الصداقة متنوعة والقريب يمكن أن يكون صديقاً فلم نفرط بهذه الفرصة السانحة؟ "القربة محتاجة إلى المودة، والمودة مستغنية عن القربة". "والصديق: فعيل بمعنى فاعل وهو الصادق في المودة. وقد جعل في مرتبة القربة مما هو موقور في النفوس من محبة الصلة مع الأصدقاء. وسئل بعض الحكماء: أي الرجلين أحب إليك أخوك أم صديقك؟ فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقي".
2. الأم صانعة أجيال وقدوة حسنة في مجالات كثيرة في حياتنا نتعلم منها الآداب والأخلاق عبر مصباح الصداقة ونبصر مشاعرنا ونستلهم من الأم عوناً صادقاً، ورأياً حسناً.
3. الصداقة حاجة من الحاجات النفسية وضرورة اجتماعية. قال المتنبي "شر البلاد بلاد لا صديق بها". ومن الأمثال الصينية "أتمن الأشياء في الدنيا: العلم والغذاء والصداقة".
4. نتعلم ونعلم في دائرة الأسرة فكل إنسان وهبه الله من النعم الشيء الكثير المهم أن ننتبه إليها ونستفيد منها من منطلق: الأقربون أولى بالمعروف. المرأة المتوجهة بعالمها الداخلي نحو النزاهة والفضيلة تتعلم من أمها مهارات الحياة المنزلية، وأخلاقيات ربة البيت، والتميز في العمل المجتمعي.
5. تتجه التربية الحديثة وتوجهاتها المتنوعة إلى ضرورة تعميق العلاقات الاجتماعية في الأسرة لإشباع الحاجات الإنسانية ومدّها بالمشاعر الكفيلة بالتنمية الصحيحة.
6. تحصين وتحسين مستوى المعيشة الأسرية لتصل إلى أقصى مستوياتها الممكنة من السعادة والدفء الإنساني النبيل.
7. الأم تصوب الأخطاء برفق وحب وصدق. يعرف الإنسان الناضج أن الخطأ طبيعة بشرية لا مفر منها، لذا عليه أن يقلصها في حياته ويتخلص من تبعاتها السلبية ويوطن نفسه على أن يلازم من يبصره بعيوبه بعيون المحبة فهو غير معصوم. المؤمن مأمور بالتحدث إلى والديه بالقول اللين اللطيف وهذا يقود إلى توثيق عرى الصداقة الخالدة بينهما.
8. أصادقها كي لا أخجل أبداً من مصارحتي لها وأعتاد على مكاشفتها في الأمور التي احتاج فيها إلى رأيها. صداقتي بأمي تعزز ثقتي بنفسي وتشعرنني بأني فتاة ناضجة فأمي تعرف معظم ما احتاج إليه لأنها قريبة مني عزيزة على قلبي. الذي يشبون على مثل هذه المبادئ الصحية أقرب إلى الحياة المتوازنة.



9. صداقتي بأمي تقوي صلتي بري لذا فإن صحبتها بالمعروف من أفضل العبادات. روي في الحديث عن البيهقي "أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ لَوَقْتِهَا، قُلْتُ، ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".

10. الأسباب الأكثر شيوعاً وراء اعتقاد البالغين أن أمهاتهم هن أفضل الأصدقاء بالنسبة لهم: لا يوجد هناك من يعرفهم أفضل من الأم - تعرف الأم قصتهم بالكامل - هي تحبهم بغض النظر عما يحدث منهم - تريد لهم الأفضل - هناك العديد من الأشياء المشتركة بينهم (هاينز، 2009م، ص 115).

11. ترشدني إلى أسس اختيار الزوج الصالح والسبيل إلى حياة زوجية سعيدة وسبل التربية الحميدة.

12. إن تقليد الفتيات لتصرفات الذكور ظاهرة متنامية مخزية تعلن عن غياب الفطرة السليمة وتلوث الصبغة الإنسانية السوية عند البعض ولا شك أن مصاحبة البنت لأمها من أنجح الوسائل في تصحيح المسار. ورد في الحديث "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ".

13. ليس من السهل العثور على الصديقة الوفية. جاء في استطلاع عربي أجراه موقع إلكتروني: "هل وجدت الصديق الوفي؟" أكد 61% أنهم وجدوا هذا الصديق، في حين أشار 39% أنهم لم يجدوه.

والحق أن الصداقة رزق وكما جاء في طوق الحمامة لابن حزم "ومن الأسباب الممتننة في الحب أن يهب الله عز وجل للإنسان صديقاً مخلصاً... متمكن البيان، مرهف اللسان، جليل الحلم، واسع العلم، قليل المخالفة، عظيم المساعدة شديد الاحتمال. فمعه يكمل الأنس، وتنجلي الأحزان، وتطيب الأحوال"، أو كما قال إبراهيم الجراح أحد شعراء الكويت عن الخل الوفي:

إذا رزق الإنسان خـلاً يـجـبـه      فقد رزق الدنيا وذلك حسبه  
ومن يكتسب عن خبرة و دراية      صديقاً وفياً طاب والله كسبه

تحتاج البنت في كل مراحل حياتها إلى صداقة الأم وقديماً قال الحكماء "ابنك ريحانك سبعاً، وخادمك سبعاً، ثم عدو أو صديق". تحتاج البنت أحياناً لمن تصارحها وتصابحها وكما تقول إحدى الفتيات أن البنت خاصة في مرحلة المراهقة تحتاج إلى صداقة الأم (الميلادي، 2006م، ص 158).

يذهب المتخصصون في التربية أنه من الأفضل أن تبدأ الصداقة الأسرية قبل سن المراهقة (المسعد، 2001م، ص 61) وتستمر مدى الحياة.

الأم مجمع الخيرات ومحط الرحمات. إنها علاقة فريدة بين الأم وأطفالها عبر عنها سقراط بقوله: لم أطمئن قط إلا وأنا في حجر أمي، وقال إبراهيم لنكولن: أعظم كتاب قرأته: أمي. ورد عند أهل اللغة العربية: كل شيء انضمت إليه أشياء، فهو أم لها... الأم لكل شيء هو المجمع والمضم... وإذا قيل: أم الخير فهي تجمع كل خير... واعلم أن كل شيء يضم إليه سائر ما يليه فإن العرب تسمي ذلك الشيء أمًا... العرب تقول للرجل يلي طعام القوم وخدمتهم: هو أمهم.

بر الوالدين أصل من أصول الشريعة الإسلامية الغراء، ونفحة من نفحات السماء. إن من تمام حسن الصحبة أن نوظهما بالحب والرعاية وحسن الصحبة. {وَإِخْفِضْهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا} (الإسراء: 24). ورد في التفسير الميسر "وكن لأمك وأبيك ذليلاً متواضعاً رحمة بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياناً وأمواتاً، كما صبرا على تربيته طفلاً ضعيف الحول والقوة". وفي الحديث "رضا الله في رضا الوالدين، وسخطه في سخط الوالدين". "وأملك هي الصديقة الصدوقة التي ستساعدك في انتقاء الصديقات الملتزمات الخلوقات. لا تنبهري بأي مظهر مبالغ فيه أو سلوك متبرج لأي فتاة. لا تنقادي وراء أي نصائح تخالف أخلاقياتك... بعضهن قد ينصحونك بالتدخين، وهو آفة قاتلة تؤدي إلى ما يزيد عن 40 مرضاً قاتلاً، منها السرطان وأمراض القلب، إضافة إلى الأضرار بهرمونات الجسم، بل وتهديد حياة جنينك في المستقبل!! بعض الصديقات الغير ملتزمات قد يحدثونك عن ممارسات غير لائقة فاحذري لأن تلك العادات غير السوية قد تكلفك عذريتك أو تتسبب في أضرار صحية بالغة وقد تدمر حياتك الشخصية في المستقبل" (الجمعية الطبية الكويتية، 1999م، ص 7).

إن رحلة العمر من غير صداقة الأم قليلة النفع بل قد تكون عديمة الجدوى. الأصل هو أن الرفيق قبل الطريق، فإن عرض لك أمر نصرك وإن احتجت إليه رفدك". والعلاقة الوثيقة مع الأم من أجل تجارب الحياة، فالصداقة الإيجابية علاقة مودة بين شخصين أو أكثر يمكن أن تكون في أعلى مراتبها مليئة بالاستقامة والنزاهة وتمثال المشاعر لدرجة أنها تخفف مرارة الحياة وتحقق الاندماج الاجتماعي وترسخ الاستقرار النفسي. ليس هناك أثنى وأعظم -في العالم أجمع- من علاقة أم تكسب الابنة صداقتها فتربح الابنة عز الدنيا، وفلاح الآخرة بذلك النوع من الإحسان إليها. إن الصداقة مرحلة رفيعة من مراحل الصدق والنصح والأمانة تفتح أعيننا إلى جماليات النفس الإنسانية، وتخفف عنا مرارة الحياة، وتكسبنا وعياً بذواتنا الثقافية والاجتماعية.

ومن زاوية نفسية فإن الصداقة الأسرية قد تعصم المراهق من الشطط فإن من أهم خصائص مرحلة الشباب احتمالية ازدياد الصراع بين جيل الكبار والشباب، والنزوع إلى الابتكار، والتمايز من الآخرين، والميل إلى التحرر من قيود الأسرة، والتفكير بالجنس، "والاسترسال في أحلام اليقظة، والتمهيد لبناء المستقبل، والاهتمام البالغ بالتحليل الذاتي. وفي مرحلة الشباب تنمو الانفعالات، وتتصف بالسيولة والعنف والتذبذب والتناقض والقوة والحماسة والحساسية، إلى أن تصل إلى الاستقلال والاستقرار والنضج الانفعالي. وفي هذه المرحلة، ينمو الشاب اجتماعياً ويميل إلى الاستقلال وتأكيد الذات والاتصال برفاق سنه وأصدقائه، والاقتراف بهم والتألف معهم أو مغايرتهم ومنافستهم وممارسة الزعامة" (الموسوعة العربية، 2004م، باختصار).

تكشف أبرار السقاف (2009) طرفاً من أهمية الصداقة في الأسرة بقولها "الصداقة الأسرية أجمل ما يوطد العلاقة ويتيح للشفافية الدخول إلى أدق جوانبها، تشكل هذه الصداقة حصانة ذاتية للأبناء، أياً كانت هذه الجوانب فهي كفيلة بسد مواطن الخلل، والرفع من قدر القوى الداخلية بذات الأبناء، من الطبيعي أن يبحث الابن عن الصديق الذي يجسد له معاني الصداقة الحقيقية، عندما يجد الابن من يمنحه دفء الصداقة. الصداقة الأسرية تعني توافق العاطفة والعقل، وترابط الأفكار وتقارب وجهات النظر قد يكون أمراً شاقاً في البداية، لكن الحوار والتفاهم والتقرب إلى الأبناء تقضي تدريجاً على تلك الحواجز، فاختلف الأجيال والعقول لا يشكل خطراً كبيراً إذا وجد أسلوباً عقلياً لمواجهة ذلك".

السعادة في دنيا الصداقة الأسرية لا توصف ولقد ورد في كتاب *الصداقة والصديق* "قيل لابن المقفع: الصديق أحب إليك أم القريب؟ قال: القريب أيضاً يجب أن يكون صديقاً". والصديق لكل شيء، للجد والهزل، وللقليل والكثير، ولا عاذل عليه، ولا قاذح فيه، وهو روضة العقل، وغدير الروح... والصديق من يطعمني إذا جعت، ويكسوني إذا عريت، ويحملني إذا كللت، ويغفر لي إذا زلت. الصديق من صدقك عن نفسه لتكون على نور من أمرك، ويصدقك أيضاً عنك لتكون على مثله، لأنكما تقفان أحوالكما بالأخذ والعطاء، في السراء والضراء (التوحيدي، 2007م، ص 52، 172، 195). "الصداقة بين الآباء والأبناء أحد المفاتيح الضرورية للحياة السعيدة في الأسرة وللطمأنينة يستشعرها الأبناء في سعيهم في الحياة، ولثقة في النفس التي تستمد من ثقة الكبار واحترامهم للصغار؛ وهما معنيان لازمان بين كل صديقين فلا صداقة حيث تنعدم الثقة أو حيث يختفي الاحترام" (العوا، 2007م، ص 45).

ومن زاوية اجتماعية فإن البنت تستفيق من سباتها عندما تدرك أن الخطاب طرقتوا بابها طلباً للزواج وهنا تحاول أن تفتح القنوات والمعابر بينها وبين والدتها وتتلطف على صحبة والدتها لتشارك في حقها

الشرعي والمنطقي في اختيار شريك حياتها. ونظرا لانعدام الثقة أو ضعفها بين الفتاة وبين أمها قد تتخذ الأسرة قرارا بل قرارات في غاية الخطورة بعيدة عن حق الفتاة في التعبير عن رأيها مما يؤدي إلى صدمات عاطفية حادة كانت علاقة الصداقة الأسرية يمكن أن تحتويها أو تتجنبها بكل يسر.

كتب أحد الخبراء عن الأمهات كصحة محببة فقال "يحتاج كل من البنات والبنين إلى صحبة الأم بصورة أكبر من مجرد قضاء الوقت معها الروتين اليومي، فهم يحتاجون إلى فرصة لممارسة أنشطة خاصة معها مثلما يحدث بالنسبة للأب؛ وقد تكون هذه الأنشطة زيارة للمتاحف أو دور السينما أو المناسبات الرياضية أو للتسوق أو ركوب الدراجات أو السير لمسافات طويلة، والمهم في الأمر هو ألا يكون هناك شعور بالإلزام من جانب الأم، بل أن يكون كل من الأبناء والأم مستمتعين بهذا العمل" (سبوك، 2009م، ص 390-391).

يقول الكاتب الأمريكي الشهير واشنطن إرفنج (Washington Irving): "الأم أصدق صديق عندنا" (A mother is the truest friend we have) تقف معنا لتبديد غيوم الظلام، ومواجهة الصعاب، من أجل عودة السلام لقلوبنا. تتزايد التجارب الناجحة حول العالم لترسيخ فكرة قوامها أن العلاقة بين البنت وأمها ممكنة ويستطيعان أن يصبحا أفضل صديقين (best friends) إذا تعلمتا حاجيات كل منهما، وتمسكا بصفات من أهمها الثقة المتبادلة، والتسامح وحرية الاختلاف، ومعرفة حدود كل واحد منهما، وتجاوز التحديات بسلاسة. رغم اختلاف جيل الأمهات عن جيل البنات فإن الصداقة بينهما ممكنة إذا طورنا تقنيات التواصل بين الطرفين ( Fuller, C & Plum, 2010, p. 56, 69, ) (201).

### لا لعقوق الأمهات

الناظر إلى أحوال المجتمع يلحظ بوضوح سرعة تغير القيم وتبدل الأخلاق لدى عدد غير قليل من أفراد المجتمع لا سيما القيم الأسرية وما يتصل بها من أخلاق وآداب وعادات حميدة جفل أو غفل الناس عنها. لقد تخلت الأسرة عن جزء كبير من دورها في العملية التربوية لدى شريحة كبيرة من المجتمع كما تشير الدراسات الميدانية، وأصبح تركيزها على توفير المواد الأولية من طعام وكساء وعلاج وإحاق الأبناء بنظام التعليم بغرض تحقيق التفوق الدراسي دون اهتمام ملحوظ بالتفوق القيمي الأخلاقي ودون أدنى اهتمام بالنمو العاطفي.

إن التقليد الأعمى للغرب ساهم في التمهيد للتفكيك الخلقي، والتحلل الروحي. من نتائج انفتاح العالم العربي الإسلامي على الفكر الغربي ونمط حياته أن حصل تلاقي بين الثقافات، لكن المؤسف أن هذا التلاقي لم يكن دائما مثمرا، بل أدى -على العكس تماما- إلى تمزق كبير للقيم. فالحضارة الغربية وصلت لما وصلت إليه بتدرج، فيما نحن جلبنا المظاهر المادية فاستوردناها معتقدين أنها جوهر الحضارة،

وانعكس كل ذلك على سلوكياتنا، إذ اتخذت الحقوق شكلاً فوضوياً ومُنحت الحرية للشباب من دون تحسيسه بالمسؤولية ولا بالمخاطر المحدقة به، فيما كان من أبسط قواعد التحرر أن ترافقه تربية صحيحة وقائية وتربية أخلاقية فسيولوجية تحمي الفتاة بالخصوص، من الاستغلال بسبب قلة خبراتها (ناجي، 2010م).

زادت الفجوة بين جيل الآباء والأمهات وبين جيل الأبناء في العقود الأخيرة وتوترت العلاقة بينهم في كثير من البيوت، وأصبح التعامل بينهم معضلة حقيقية تواجه كثيراً من الأسر في وطننا العربي وغيره. وتؤكد الدراسات الميدانية أن المشكلات المتعلقة بالناشئة تأتي بالدرجة الثانية بعد المشكلات الزوجية خاصة توتر العلاقة بينهم وبين آبائهم (الرومي، 1431هـ، ص 60). ومهما يكن الأمر فإن تواصل الابنة مع أمها تواصلًا رديئاً، وعقوقها لها يجرمها من الاستقرار النفسي، ومن إشباع حاجاتها، ويعرضها للأمراض والأوجاع والانحرافات النفسية، ويحرم الأبناء والبنات من بركة العمر والرزق ويعرضهم لسخط الله سبحانه وتعالى (موسوعة الأسرة، ج3، ص 528-529). وتنقل لنا الأخبار الصحفية قصصاً في عقوق الوالدين قريبة من الخيال ومهما تكن المبررات المعقدة فهذا العقوق فسوق ولا يليق بالفطرة الإنسانية السليمة ولا يليق بأصحاب النزعة الاجتماعية القويمة.

الصراع بين الأجيال رؤية تشاؤمية فلا يتقدم جيل البنات بلا انتفاع واع من جيل الأمهات. قال كولن (2011م) "كل محاولة وحيلة للتقدم تمر من التقييم الجيد للوضع الحالي مع الاستفادة من تجارب الأجيال السابقة وإعطاء أهمية لتلك التجارب. وإلا فإن الأجيال القادمة إن اتبع كل واحد منها طريقاً دون الالتفات إلى تجارب السابقين، فإن هذا التصرف يكون تصرفاً صبيانياً، لأنه يؤدي إلى تأخر الأمة ويمنع تقدمها ويعرفلها. الذين يعرفون قدر الوالدين ويعدونهما وسيلة للوصول إلى الرحمة الإلهية هم المحظوظون هنا في الدنيا، وهناك في الآخرة. أما الذين يستثقلون وجودهما ويملون من استمرارها في الحياة، فهم التعساء والمرشحون لأرذل حياة وأسوأها" (باختصار).

الصدقة الأسرية تجعلنا نتجنب التقصير فلا يليق أن تسلك البنت طريق العقوق وتجنح إلى الإساءة والعصيان كما يحدث للبعض في هذا الزمان. ومن باب الاحتراز والدفاع وضعت التربية الإسلامية السدود الوقائية والنفسية لمنع العقوق، وفي الحديث "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَهَاتِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. قال العلماء: والعقوق مأخوذ من العق وهو القطع، ومنه سميت العقيقة التي تذبح عن المولود في اليوم السابع؛ لأنها تعق: يعني تقطع رقبتها عند الذبح. "عقوق الأمهات"؛ قطع ما يجب لهن من البر. لهذا سمي العقوق: قطعاً، والعق: الشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل. وخص الأمهات بالذكر، وإن كان يستوي في ذلك الآباء والأمهات، لأن الجرأة عليهن أكثر في الغالب.

وفي الحديث "الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ" (رواه مسلم). "الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام". "الرحم التي توصل عامة وخاصة فالعامة رحم الدين ويجب مواصلتها بالود والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحق الواجب والمندوب. والخاصة تزيد بالنفقة على القريب وتفقد حاله والتغافل عن زلته وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك ويقدم الأقرب فالأقرب صلة الرحم بالمال وبالعين على الحوائج ودفع الضرر وطلاقة الوجه والدعاء والمعنى الجامع إيصاله ما أمكن من خير ودفع ما أمكن من شر بقدر الطاقة".

### أنواع الصداقة

المرء غنيٌّ بأصدقائه والحسابات الجيدة تصنع أصدقاءً أحبَّاء، هكذا تتواتر الأمثلة العالمية لتبين النوعية الجيدة للصديق. يتسع مفهوم الصداقة اليوم ليشمل مجالات عدة متفرعة؛ صديق العائلة، وصداقة النفس، وصداقة الأهل، وصداقة البيئ، وصداقة الدول والأمم والحضارات، وصداقة الحاكم، وصداقة الإنترنت، بل حتى النيران قالوا عنها نيران صديقة وهو تعبير عصري يطلق على قتل الجنود برصاص زملائهم بطريق الخطأ. تتضمن الصداقة الخصبة قدرا كبيرا من التقارب يتفاوت بين الأشخاص حسب قدراتهم ومهما يكن الأمر فالصداقة بطبيعتها تطرد الحياة الباهتة بين الأقران وتستقطب الحيوية في العلاقات الأسرية وتوجهها بقوة نحو الحركة والتقدم والارتفاع. علاوة على ذلك تضيف الصداقة حياة البشر معاني الاعتبار والاختيار ومدلولات الحرية والمودة والعزيمة والتجديد والمبادرة والمسئولية. الصداقة الأسرية نوع من أنواع الانسجام والاتفاق والترايط تعين المرء على تجاوز الصعاب والعراقيل، وإن تعزيز أواصرها مسئولية تربية مشتركة يجب أن تحظى باهتمام الجميع في المجتمع وهي معادلة صعبة ولكنها ممكنة. هذا النوع الخاص من الصداقة في نطاق الأسرة لا يلغي الصداقات الاجتماعية الأخرى وليس بديلا عنها أبدا. إن تقويض أركان النظام الأسري أو إلغاء الأسرة أو إهمال روابط الرحم خط أحمر لا يقبل به عاقل ولا ينادي به إلا جاهل.

إن الصداقة إنما هي حد وسط بين خلقين فالصديق هو الشخص الذي يعرف كيف يكون مقبولا من الآخرين كما ينبغي على حد قول أرسطو. مقبولا لدى الجميع إلى الدرجة التي تجعله لا يعارض في أي شيء حتى لا يسيء إلى الآخرين فهو المسامر وذلك إن كان يفعل هذا بدون سعي إلى منفعة شخصية وإنما لولعه بالإرضاء أما إن كان يهدف من مساميرته إلى مصلحة شخصية فهو المتملق وعلى الضد يصف أرسطو الشخص الذي لا يكثر بالقبول من جانب الآخرين بأنه الشرس والعسر والمشاغب والصعب في المعيشة ولا يجذب أرسطو إلا الوضع الوسط ويرى أن هذا الوضع يشبه الصداقة

ويعلل بأننا أكثر استعداداً لقبول الشخص الذي ينتمي إلى هذا الوضع كصديق لنا إذا جمع إلى رغبته في التقبل الشعور بالميل إلينا. الصداقة هي عطف متبادل بين شخصين حيث يريد كل منهما الخير للآخر مع العلم بتلك المشاعر المتبادلة فيما بينهما (أبو سريع، 1993م، ص 18). قسم أرسطو الصداقة إلى ثلاثة أنواع:

1. صداقة المنفعة تقوم على المصلحة وتنتهي بانتهائها.
2. صداقة اللذة وهي قصيرة ترتبط بإشباع لذة الحديث والقرب والأنس بالناس ويمكن أن تندرج في خانة صداقة المنفعة.
3. وصداقة الفضيلة هي علاقة وثيقة وتبادلية وهي أفضل نقاءً وبقاءً من سائر أنواع الصداقات لأن فيها الفضيلة والمصلحة واللذة.

قال ابن سيده في كتابه المخصص صادقته مصادقة وصداقاً والاسم الصداقة وهو الصديق والجمع أصدقاء وقد يكون الصديق واحداً وجمعاً. وأشار التوحيدى إلى أن الصداقة والصديق يكون واحداً وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً. قال الله تعالى {أَوْ صَدِيقِكُمْ} (النور: 61)، فأخرجه مخرج الواحد، وهو يريد الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. إنما سمي الصديق صديقاً بصدقه لك، وسمي العدو عدواً لعدوه عليك لو ظفر بك (التوحيدى، 2007م، ص ، باختصار، 355). ومن روائع الآية السابقة أن الله عز وجل قرن الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة، لأن قرب المودة لصيق كما قال القرطبي في تفسيره. وعن جعفر الصادق: من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وترك الحشمة بمنزلة النفس والأب والابن والأخ.

قال سلمان العودة "ذكر سبحانه الصديق فقال: {أَوْ صَدِيقِكُمْ} (النور: 61)، فجعل الصديق مع الأقارب، وفي هذا نوع من تقريب الصديق، ولذلك ذكرت بعض المذاهب الفقهية-كـبعض الأحناف والمالكية- أن الصداقة والحلّة إذا استحكمت فكانت قوية، فإن شهادة الصديق لصديقه لا تُقبل؛ لأنه أصبح كأنه جزء منه، واللطيف هنا أن القرآن العظيم جمع الصداقة مع القرابة؛ لأن القرابة عبارة عن حمة مُستَمِرّة، وليست طارئة، وهذا قدر من الصداقة المتناهية".

أدرك السابقون تنوع الأصدقاء فقالوا الإخوان ثلاثة: أخ لآخرتك، وأخ لدياك، وأخ لتأنس به. وقد قال المأمون: الإخوان ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يبتلي به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع. وقد قيل: مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات، فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال، ومنها ما له ثمر

وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا، ومنها ما له ثمر وظل جميعاً، ومنها ما ليس له واحد منهما.

لا يمكن حصر أنواع الصداقات ولكن يمكن الحديث عن بعض أنواعها فهناك الصداقة العابرة وهناك الصداقة المبنية على المنفعة المؤقتة والمصلحة الآنية. وهناك الصداقة المخلصة الحقيقية تصون الحياة وتعطيها طعماً حلو المذاق. وإن اللبيب يتجنب الصداقة المذمومة المبنية على المداينة والغدر واللبيب يهرب من صداقة الأحمق الذي يلهو معك في اليسر وإذا تجمعت الهموم عليك ساعة العسر يأخذ مصلحته منك ويتركك وحدك تغرق. ومن أسوأ الأمور أن يكشف الإنسان زيف صداقته بعد فوات الأوان ويتحسر على ساعات العمر وفساد المودة. ومن أخطر آثار الصحة أنها تبسط نفوذها على مجال الفكر والعاطفة في آن واحد ومن هنا قال العلماء "عَزِيْزٌ مَنْ يَصْدُقُ فِي الصَّدَاقَةِ، فَيَكُوْنُ فِي الْبَاطِنِ كَمَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ، وَلَا يَكُوْنُ فِي الوَجْهِ كَالْمِرَاةِ وَمِنْ وَرَائِكَ كَالْمِقْرَاضِ". إن المرء يعرف بقرينه، والصاحب ساحب، وإنما المرء بصديقه، من هنا وجبت معرفة أنواع الأصدقاء ووجب حسن الاختيار. ولكي نحصل على صداقة عامرة ذات مشاعر غامرة نحتاج إلى معرفة طبقات الصداقات وانتقاء الأفضل منها لدعم صداقاتنا الأسرية.

مهما تنوعت أصناف الصداقات فإنها تنقسم إلى قسمين وفريقيين متقابلين: صداقة محمودة تعيش في كنف الخلق القويم، وصداقة مذمومة أغرقتها بريق الشهوات المورثة للحسرات. ومعيار ذلك غلبة الخير أو الشر في العلاقات الناشئة. قال تعالى {الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (الزخرف: 67). والخليل هنا الصديق الحميم ولكن صديق السوء يعجز عن تقديم المعونة في نهاية المطاف فيكون عقابه اللوم والحسرة والشقاوة.

ورد في تفسير تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور أن الأخلاء "جمع خليل، وهو الصاحب الملازم، قيل: إنه مشتق من التخلل لأنه كالمختلّل لصاحبه والممتزج به". قال محمد حسين فضل الله في تفسيره؛ من وحي القرآن "تتحول الصداقة إلى عداوة {إِلَّا الْمُتَّقِينَ} الذين عاشوا الحياة على التعاون في البر والتقوى الذي يفتح قلوبهم على الحق والخير والهدى في طريق الله الذي يجمعهم على الإيمان في الدنيا، وينتهي بهم إلى رضوان الله ونعيمه في الآخرة، ما يجعل الصداقة تمتد بهم إلى الآخرة، لأن الأساس الذي ارتكزت عليه علاقتهم لا ينقطع بانتهاء الحياة الدنيا، بل يتصل بمضمونه الروحي بالآخرة، ليناديهم الله بالنداء الحميم الذي يفتح قلوبهم على الخير كله". وقال ابن عجيبة في تفسيره (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) "يقول الحق جلّ جلاله: {الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (الزخرف: 67)، أي: المتحابون في الدنيا على الأمور الذميمة متعادون يوم القيامة، يبغض بعضهم بعضاً، فتقطع في ذلك اليوم كل حُلة كانت لغير الله، وتنقلب عداوة ومقتاً؛ لانقطاع سببها، وهو الاجتماع على



الهوى، {إِلَّا الْمُتَّقِينَ} أي: الأخلة المتصادقين في الله، فإنها الخلة الباقية؛ لأن خلتهم في الدنيا لما كانت لله، وفي الله، بقيت على حالها؛ لأن ما [كان] لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، بل تزداد خلتهم بمشاهدة كل واحد منهم بركة خلتهم من الثواب، ورفع الدرجات. قال مالك: لا تصحب فاجراً لئلا تتعلم من فجوره، وقال ابن رشد: لا ينبغي أن يُصحب إلا مَنْ يُقتدى به في دينه وخيره؛ لأن قرين السوء يُردي، قال الحكيم:

عَن الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسْأَلْ عَن قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ مُفْتَدٍ

وفي الحديث: "المرء على دين خليله". وورد تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الغرناطي "وإنما يعادي الخليل خليله يوم القيامة، لأن الضرر دخل عليه من صحبتته، ولذلك استثنى المتقين، لأن النفع دخل على بعضهم من بعض". وليس كل من أظهرت الود لك صديقتك، فلا بد للصديقة الحقيقية أن يفصح عملها عن صفاء معدنها، وصدق تواصلها مع قدر من مظاهر الاحترام، ومشاعر الحب. أسوأ الأصدقاء هو الصديق الذي يخذلك في الأزمات بل يصد عنك ويخدعك، ويهجم عليك ويضرك، وإذا سقطت يصول حولك صولة الأسد، ويروغ منك روغان الثعلب. قال الشاعر:

وَكُنْ عَلَى حَادِرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ وَلَا يَغُرُّكَ مِنْهُمْ تَغْرٌ مُبْتَسِمٌ

هذا بالنسبة للصدقة عموماً فإذا يمنا وجوهنا شطر قضية الصداقة بين معشر النساء فنجد أنها درجات فهناك الصديق والصاحب والخل والعضد، وهناك النديم والرفيق، ثم هناك القرين كما هو الشأن في عالم الرجال. "وإذا راجعت بتمعن لائحة من تعبريهن صديقات على مر السنوات، فستجد أن من بينهن من يمكن أن تصفيها بأنها رفيقة أو أنيسة فقط، حيث تترافقان للتسوق أو في المدرسة أو في العمل وتظل العلاقة سطحية... فيما يلي إشارة إلى أبرز مواصفات الصديقة المخلصة:

المؤرخة: هي صديقة عاشت معك لحظات تاريخية في حياتك.

الوفية: هي صديقة لا تخفين عنها شيئاً ولا هي تخفي عنك أي شيء في الغالب.

المرشدة: هي ترشدك للصواب.

المحاور: تتميز بأنها متحدثة.

**أبرز صفات الرفيقة:**

الأنيقة: هي فتاة تحبين أن ترافقك للتسوق.

النجمة: مليئة بالحيوية تعني بنفسها.

الزميلة: فتاة تستمتعين برفقتها في العمل.

زوجة صديق زوجي: علاقتك بما قائمة على علاقة زوجك بزوجها. هي امرأة لطيفة واجتماعية تقضين وقتنا معها" (المتاز ، 2011م، ص 12، باختصار وتصرف).

طبقا للدراسات الحديثة، فإن متوسط عمر الصداقات عند السيدات يدوم أكثر من ثلاث سنوات، ومتوسط عمر الصداقات عند الرجال يدوم أكثر من خمس سنوات (هاينز، 2009م، ص 148). تعترف معظم النساء بأن صداقاتهن تكون مبنية على مشاركة المشاعر والأحاسيس والخبرات، بينما يذكر الرجال أن صداقاتهم تبنى على الأنشطة التي يشتركون في أدائها (هاينز، 2009م، ص 242).

ثمة نساء تقترب منهن بحكم القرابة في إطار الأسرة لا يطلق عليهن في الأغلب الأعم لفظ صديقات بل هن في زمرة الأهل، ولكن يمكن أن يرتقن بعلاقاتهن معك عبر المواقف فيصبحن أعز الأصدقاء كعلاقة البنت بوالدها. هذا التقارب لا يعني -بطبيعة الحال- أن تدوب الفواصل وتختفي الخصوصيات بل هي علاقة ودودة تتخذ من المودة مسلكاً، ومن محاسن الصداقة سبيلاً، ومن القرابة مغنماً، ومن الصدق مساراً. وإذا كان الوفاء تاج الصداقة فالوفاء بين الأقرباء أشد ومشاعر المودة أوثق.

### من منافع الصداقة

قضت مشيئة الله وسننه في خلقه أن تكون الصداقة من أكبر الظواهر الاجتماعية وأعظمها أثراً في رعاية الطفولة ونماء المراهقة والارتقاء الأخلاقي ودولاب الحياة مستمر غير مستقر لا يعرف التوقف أبداً وهو أسرع من أنفاسنا. والصداقة من أوجب أمور التعايش لأنها توجد التكامل بين متطلبات الفرد وحاجيات المجتمع لا سيما ونحن نعيش في عصر يشهد مفارقات حادة من أهمها التخلف الأخلاقي والتراجع القيمي، مع تصاعد مشكلات الصراع بين جيل الكبار وجيل الصغار في زمن المدنية الحديثة وتمايز الشرق عن الغرب. إن إغلاق الفجوة بين الجيلين عبر توثيق العلاقات بينهما ينقلنا نحو حياة أوثق وأرحب؛ عامرة بمشاعر الحنان والحب والوفاء. يشهد العصر الحديث تفوقاً مادياً مرموقاً وفقرات تكنولوجية مذهلة بينما الوضع الاجتماعي والنفسي آخذ بالتدري في بعض المجالات التطبيقية.

أشار السلمي في كتابه *آداب الصحبة* إلى فضل الصحبة الصالحة فقال في مقدمة كتابه "الحمد لله الذي أكرم خواص عبادته بالألفة في الدين، ورزقهم الشفقة علي المؤمنين، وزينهم بالأخلاق الكريمة، والشيم المرضية، وهداهم إلي آداب صحبة الإخوان، وعراهم من الأذناس والأخلاق الدنية. فالألفة أوجبت الأخوة، والأخوة أوجبت حسن العشرة وكريم الصحبة. وأعلم أن آداب الصحبة وحسن العشرة علي وجوه، ولكل قوم في ذلك وجوه من آداب الصحبة، وحسن العشرة. وعلي المؤمن أن يحفظ لكل

مُسْلِمٌ حَقَّ إِخْوَتَهُ، وَحَسَنَ صَحْبَتَهُ وَعَشْرَتَهُ. الْمُسْلِمُونَ جَسَدٌ وَاحِدٌ فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَأَنَّ عَلِيَّ بَعْضَهُمْ أَنْ يَعِينِ الْبَعْضَ عَلَيَّ الْخَيْرَاتِ، وَيُدْفَعُ عَنْهُ الْمَكَارِهِ (بِاخْتِصَارٍ).  
والصديق من منظور أرسطو هو من يعيش معك والذي يتحد وإياك في الأذواق والذي تسره مسراتك وتحزنه أحزانك وبذلك تقوم الصداقة على المعاشرة والتشابه والمشاركة الوجدانية والصداقة. والصداقة في هذا السياق إحدى الحاجات الضرورية للحياة لأنه لا يقدر أن يعيش أحد بلا أصدقاء مهما توفرت له الخيرات، فالأصدقاء هم الملاذ الذي نلجأ إليه وقت الشدة والضيق والصداقة ضرورية للشباب لأنها تمدّه بالنصائح وهي مهمة للشيخ تعينه حيث يتقدم العمر ويضعف البدن . يعقد أرسطو مقارنة لطيفة بين العدل والصداقة فيقول "متى أحب الناس بعضهم البعض لم تعد حاجة إلى العدل غير أنهم مهما عدلوا فإنهم لا غنى لهم عن الصداقة، وإن أعدل ما وجد في الدنيا بلا جدال هو العدل الذي يستمد من العطف والمحبة" (أبو سريع، 1993م، ص 19). ولا شك أن العدالة قيمة إنسانية كبرى فبالقسط تستقيم الدنيا وتقوم مصالح العباد. قال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} (الحديد: 25).

سن الإسلام سننا كفيلاً بحماية المشاعر من الخدش والتجريح فطالب بتنزيه المجالس من الاضطراب لئلا تنتشر الأحقاد. ولحماية الصحة من الأضرار وضع الإسلام ضوابط محكمة وحدد محظورات الصحة منها عدم إيذاء مشاعر صاحب عبر التناجي فلا يتكلم الصديق سراً مع صاحبه ويترك صاحبه الثالث صامتا لا يدري عما يتحدثان فإن ذلك يؤذيه ويحزنه فتفسد الصلات بين الأصحاب وتسوء النيات. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ أَجَلَ أَنْ يُحْزِنَهُ (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، وفي رواية "إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون صاحبهما" (الحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد). بالصداقة نشعر بإنسانيتنا ونرطب الأجواء من حولنا ونجعل أسرنا تنعم ببركات الصداقة وتسيح معانيها الجميلة في جنبات مجتمعنا. قال الشاعر:

لا شَيْءَ فِي الدُّنْيَا أَحَبُّ لِنَاظِرِي      مِنْ مَنْظَرِ الْخِلَاءِ وَالْأَصْحَابِ  
وَأَلَدٌ مُوسِيقَى تَسْرُّ مَسَامِعِي      صَوْتُ الْبَشِيرِ بَعْدَ الْأَحْبَابِ

الصداقة الحقّة تجعلنا نشعر بإنسانيتنا. "إنسانية أي شخص ومروءته وشهامته تكون واردة بدرجة قربه من أصدقائه وأحبائه وبدرجة استمرارية هذا القرب. والإنسان الناضج والكامل هو الشخص الذي يعد أكبر معروف يسديه للآخرين شيئاً ضئيلاً، وأصغر معروف يُسدى إليه شيئاً كبيراً. مثل هذا

الشخص يكون قد سما إلى الخلق الإلهي ووصل إلى الاطمئنان القلبي. مثل هذا الشخص لا يمن بإحسانه ومعروفه أبداً، ولا يشكو من الإهمال وعدم الاهتمام الذي قد يتعرض له" (كولن، 2011م).

أدرك سلفنا الصالح قيمة الصداقة بكافة دوائرها وأشاروا في الحديث عن وظائفها وشروطها وحقوقها ومنافعها. جاء عن علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدّها وإن رأى منك حسنة عدّها وإن رأى سيئة سدّها، اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتدأك وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمراً أمرك وإن تنازعتما آثرك. وقال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس إلا من يكتفرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك.

في القرن التاسع عشر ذهب الشاعر والفيلسوف الأمريكي (Henry David Thoreau) في قصيدته عن الصداقة (Friendship) إلى أن الحب بالنسبة له عالم قد لا نتحدث عنه مع الأصدقاء لكننا نمارسه معهم ونحب الحقيقة والخير، والحب قوة لا تقاوم تحرك الأرواح وتصل الأعماق. الصديقان مثل أشجار السنديان في القوة حيث تعيش جنباً إلى جنب وتصمد أمام عواصف الشتاء، وعلى الرغم التحديات تكبر وتعمر بفخر نظراً لقوتها وتشابك جذورها. ربط الشاعر بين الصداقة والحب وجمال الطبيعة وحب الخير والصمود أمام المصاعب وهذه أعظم منافع الصداقة.

يعتقد بعض الشعراء والفلاسفة بتوحد المشاعر ويؤمنون أن الصديقين يمكن أن يصبحا شخصاً واحداً: "نحنُ رُوحانُ حللنا بَدْنَا" من فرط المحبة وشدة الصداقة وانصهار كل صاحب بالآخر. وهذا تعبير سائك قلق الإيمان "بالحلل والاتحاد" لا يسلم من الانتقاد. والخصوصية مطلوبة في عالم الصداقة والمحبة والقرباة أيضاً فلكل شخص استقلاليته مهما تشابكت وتشابكت المشاعر فالصداقة الحقّة تمضي بالفرد خطوات للأمام وتفسح مجالاً رجباً للاختلاف والاتلاف.

### فضلهما عظيم وبرهما نعيم

أرشدنا الحق جل ثناؤه نحو مسلك في غاية اللطف في التعامل الراقى مع الوالدين مهما كان دينهما ومهما ساء فعلهما فقال المولى عز شأنه "وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا" (لقمان، 12) فسبحان الذي شملت رحمته كل شيء، ووسعت حكمته كل أمر. إن الإحساس بالصحة والسعي نحو الإحسان في مسالكها بحاجة إلى خمسة أمور؛ إخلاص، وبصيرة، ودربة، وصبر، ورحمة. إذا كان الأبوان يقومان بتهديد الابنة ويجاهدان في ذلك - لا سمح الله - فالإسلام يأمرنا بالصبر على صلتهم والإحسان في رعايتهم والبر في رحلة الحياة فكيف بالألم المؤمنة الصالحة فإن حقها أعظم؟ إنه دين سلام ومحبة ورحمة

وحكمة، إنه الإسلام العظيم الرحيم الكريم، إنه دين يجتث الكراهية من جذورها بضياء الحكمة، ويبث في الوجود معاني النور والسرور والرحمة. إنه الإسلام الذي أشار في تعاليمه إلى صلة الأبوين الكافرين ليشتيع في المجتمع مكارم الأخلاق وليفتح للفكر آفاقا واسعة تعين على تحسين نوعية المعيشة الإنسانية، وإثراء مسيرتها المستنيرة. ومن جهة أخرى فالبر بالوالدين طاعة لرب العالمين والله يجزي عباده خير الجزاء في الدنيا قبل الآخرة. عندما يفتح الطفل عينيه ويجد والدته قدوته تجتهد في طاعة والدتها يكون قد أخذ درسا ملموسا يساعده في حب هذه الفريضة العظيمة.

قال الشعراوي في تفسيره "وتأمل عظمة الأسلوب في قوله (وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) [لقمان: 15] فلم يقل مثلاً أعطهم معروفاً، إنما جعل المعروف مصاحبة تقتضي متابعتها وتفقد شأنهما، بحيث يعرف الابن حاجة أبيه، ويعطيها قبل أن يسألا، فلا يلجئهما إلى دُلِّ السؤال، وهذا في ذاته إحسان آخر" (تفسير الشعراوي، 2011م). البنات هن الأكثر برا بآبائهن في الكبر والمرأة أقدر على تغيير وإصلاح أفراد الأسرة (القشعان، 2011م، ص 49، 179، 114).

ولقد أدركت البشرية أن الإنسان القائد هو نتاج لتربية الأمهات وكما قال نابليون بونابرت أني مدين لأمي بكل ما نلته من الفخار. الأم شعبة مقدسة تضى ليل الحياة بتواضع ورقة، وليس في العالم وسادة أنعم من حضن أمي على حد تعبير شكسبير. قال جون كوبنسي آدمز الرئيس السادس للولايات المتحدة الأمريكية: كل ما في كياني من صنع أمي ولأمي الفضل في كل ما أدركته .... وعلى نهجه إبراهيم لنكولن الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية إذ يقول: إني مدين بكل ما وصلت إليه وما أرجو أن أصل إليه من الرفعة إلى أمي الحنون. وجاء في سيرة فكتور هوغو Victor Hugo الأديب الفرنسي أنه كان مولعاً جداً بوالدته، حيث أخذ عنها شغفه بالقراءة وحرية التفكير. قال الشاعر معروف الرصافي :

ولم أر للخلائق من محـلٍ      يُهـدِّبها كحـضن الأمهات  
فحـضن الأم مدرسة تسامث      بتربية البنين أو البنات  
وأخلاق الوليد تقاس حُسناً      بأخلاق النساء الوالدات

ولقد استجاب الإسلام للفطرة السليمة ورسخ بكل قوته وكامل سلطانه حب الأم في الضمائر وجعل حب الأم والإحسان إليها من جميل المشاعر وعظيم الشعائر في كل تضاعيف الشريعة فقال تعالى {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} (الإسراء: 23). قال سيد قطب (2008م) "بهذه العبارات

الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء. ذلك أن الحياة وهي مندفة في طريقها بالأحياء، توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام. إلى الذرية. إلى الناشئة الجديدة. إلى الجيل المقبل. وكلما توجه اهتمامهم إلى الوراء. إلى الأبوة. إلى الحياة المولية. إلى الجيل الذاهب! ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف، وتلتفت إلى الآباء والأمهات. إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد. إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات. وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر؛ كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلها الأجل - وهما مع ذلك سعيدان! فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله، ويندفعون بدورهم إلى الأمام. إلى الزوجات والذرية.. وهكذا تندفع الحياة. ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء. إنما يحتاج هؤلاء [الشباب] إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف!" (ج4، ص 2221).

قال عبدالله بن عباس إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة. وقال رجل: قال لي ابن عمر أتفرق [أتخاف] من النار وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت إي والله. قال: أحي والداك؟ قلت: عندي أمي. قال: فوالله لو أنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر (رواه البخاري في الأدب المفرد). قال الرازي في تفسيره "وليس لأحد من الخلائق نعمة على الإنسان مثل ما للوالدين وتقديره من وجوه: أحدها: أن الولد قطعة من الوالدين، قال عليه السلام: "فاطمة بضعة مني" وثانيها: أن شفقة الأبوين على الولد عظيمة وجدتهما في إيصال الخير إلى الولد كالأمر الطبيعي واحترازهما عن إيصال الضرر إليه كالأمر الطبيعي، ومتى كانت الدواعي إلى إيصال الخير متوفرة، والصوراف عنه زائلة لا جرم كثر إيصال الخير، فوجب أن تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة أكثر من كل نعمة تصل من إنسان إلى إنسان".

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمَّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمَّكَ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ (رواه البخاري). وفي تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور رؤية تربوية عميقة للفلسفة التربوية في الإسلام ومقاصدها الناصعة في بر الوالدين إذ تتمحور حول أمرين؛ مقاصد تربوية، ومقاصد عمرانية. قال ابن عاشور "ومقصد الإسلام من الأمر ببر الوالدين وبصلة الرحم ينحل إلى مقصدين: أحدهما: نفساني وهو تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر، تخلقاً بأخلاق البارئ تعالى في اسمه الشكور، فكما أمر بشكر الله على نعمة الخلق والرزق أمر بشكر الوالدين

على نعمة الإيجاد الصوري ونعمة التربية والرحمة. وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها وتنبيه على المنافسة في إسداؤها.

والمقصد الثاني عمراني، وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرى مشدودة الوثوق فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم، ثم عاطفة الأبوة المنبعثة عن إحساسٍ بعضه غريزي ضعيف وبعضه عقلي قوي حتى أن أثر ذلك الإحساس ليساوي مجموع أثر عاطفة الأم الغريزية أو يفوقها في حالة كبر الابن. ثم وزع الإسلام ما دعا إليه من ذلك بين بقية مراتب القرابة على حسب الدنو في القرب النسبي بما شرعه من صلة الرحم، وقد عزز الله قابلية الانسياق إلى تلك الشرعة في النفوس. وفي هذا التكوين لأواصر القرابة صلاح عظيم للأمة تظهر آثاره في مواساة بعضهم بعضاً، وفي اتحاد بعضهم مع بعض" (باختصار).

وإن كانت الوصية القرآنية بالوالدين معروفة كما يقول الشعراوي ألا أن حشيات الوصية خاصة بالأم { حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ } [لقمان: 14] فلم يذكر شيئاً عن دور الأب، لماذا؟ قالوا: لأن الكلام هنا كلام رب، وما عليك إلا أن تُعمل فيه فكرك وقلبك لتصل إلى دقائقه. الله تعالى يُدَكِّرنا هنا بدور الأم خاصة، لأنها تصنع لك وأنت صغير لا تدرك صنعتها، فهو مستور عنك لا تعرفه، أما أفعال الأب وصنعه لك فجاء حال كِبَرِكَ وإدراكك للأمور من حولك، فالابن يعرف ما قدّم أبوه من أجله. فكان أفعال الأب وُجِدَت حين تم تكوين العمر العقلي الواعي، ففهم الابن ما فعل أبوه، وكثيراً ما سمع الابن: أبوك ذهب إلى كذا، أبوك أحضر لك كذا، وهذا الأمر عندما يأتي أبوك... الخ، فدور الأب ظاهر على خلاف دور الأم؛ لذلك ذكره الحق - تبارك وتعالى - هنا { حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ } [لقمان: 14].

لا ريب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتنا في تربيته القويمة، وصدق المولى سبحانه { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (البقرة: 151). وتحتفظ لنا كتب الحديث النبوي الشريف - وهي مفخرة الأمة المسلمة - بحادثة صغيرة ولكنها عظيمة الأثر فعندما جاءت حليلة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم إليه وهو منهمك في تقسيم اللحوم فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه تعظيماً لها وانبساطاً بها. ورد في سنن أبي داود وفي المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن عُمَارَةَ بِنْتِ ثَوْبَانَ أَنَّ أَبَا الطَّفَيْلِ أَخْبَرَهُ قَالَ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَّقِسُ لَحْمًا بِالْجِعْرَانَةِ [موضع معروف على مرحلة من مكة أقام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوماً لتقسيم غنائم حنين واعتمر منها]. قَالَ أَبُو الطَّفَيْلِ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ أَحْمَلُ عَظْمَ الْجُرُورِ [الجزور البعير ذكراً كان أو أنثى] إِذْ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ حَتَّى دَنَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم فَبَسَطَ لَهَا رِذَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَنْ هِيَ؟ فَقَالُوا: هَذِهِ أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ". قال النووي في كتابه المجموع شرح المهذب فالمرضعة بمنزلة الأم.

### وظائف الأسرة

الفرد مثل كتاب أمين يضم بين دفتيه خصائص أسرته، وإرث أمته، وروح عصره. وتتحدد درجة نضج الإنسان حسب نتائج امتزاج الخصائص الذاتية وتفاعلات السعي الفردي مع التحديات والفرص المحيطة.

الأسرة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي كنفها تنبت الطفولة وتحقق نموها وهي ذات وظائف متنوعة منها توثيق الصلات وتضافر الجهود الفردية والجماعية لرشد بناء شخصية أعضاء الأسرة. وتقوم الأسرة بدور ديني عظيم حيث تغرس في نفس الفرد مبادئ الإيمان ومحبة الرحمن وتطبق قيم الإسلام في النواد أو كما يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ". تقوم بترسيخ وشائج الرحمة وأواصر التكافل واستمرار التناسل ورعاية الناشئة طمعا في استمرارية بقاء النوع البشري. ومن وظائف الأسرة الجوهرية أنها تمد أعضاءها بالمودة والتكافل والإشباع العاطفي وتعد الفرد لخدمة مجتمعه وتحقيق ذاته على أساس متين من التعاطف والستر والتجمل والحصانة والطهر والقيم الأخلاقية التي تحض على البر والترابط والود والرحمة وذلك ضمن معادلات الحقوق والواجبات المستمدة من القيم الإنسانية وخصوصيات المجتمع. كلما التزم أفراد البيت بمعادلات الحقوق والواجبات والتحلي بالقيم الفاضلة والتواصل الاجتماعي، كانت الأسرة أكثر سعادة وأقرب إلى تحقيق مقاصدها.

"يقصد بالتواصل الأسري (Family Communication) لغة التفاهم والتحاور بين أفراد الأسرة، التي تنقل أفكار كل منهم ومشاعره ورغباته واهتماماته وهمومه إلى الآخرين في الأسرة، وتشمل هذه اللغة: الكلام والحركات والتعبيرات والإشارات والإيماءات وغيرها من الرموز اللفظية وغير اللفظية، التي يقوم عليها التفاعل والتوافق بين أفراد الأسرة، وتجعلهم سعداء أو أشقياء بحياتهم الأسرية" (موسوعة الأسرة، ج3، ص 525).

قال السمرقندي في كتابه تنبيه الغافلين "لو لم يذكر الله تعالى في كتابه حرمة الوالدين ولم يوص بهما لكان يعرف بالعقل أن حرمتها واجبة، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتها ويقضي حقهما، فكيف وقد ذكر الله تعالى في جميع كتبه في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد أمر في جميع كتبه وأوحى إلى جميع الأنبياء وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما، وجعل رضاه في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما. فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه" (باب حق الوالدين).



يقول كنفوشيوس "إذا قام البيت على أساس سليم أمن العالم وسلم". وقال فرانسيس بيكون "يكبر الإنسان سبع سنوات في أفكاره في اليوم الأول من زواجه" لأنه يتعلم حقيقة حمل المسؤولية ويستشعر ذلك. لقد أحس جان جاك روسو بعد سلسلة من الأخطاء الفادحة في حياته الأسرية "أن الرجل الذي يستطيع تربية أولاده تحت بصره رجل سعيد جداً. وكتب إلى أم شابة يقول: إن أجمل أسلوب في الحياة يمكن أن يوجد هو أسلوب الأسرة.. فما من شيء يندمج معنا بأشد وأثبت من أسرنا وأبنائنا". ورغم تغير الأحوال وتبدل الزمان ودخول عصر العولمة تظل الأسرة أساس المجتمع والوحدة الرئيسة له. هذا أمر لازم، وحقيقة لا تنفصم عن الواقع ولا تنفصل عن المجتمع. للأسرة وظائف تربوية ونفسية واجتماعية واقتصادية كلما زادت درجة تلبيتها لعبت الأسرة دوراً أكبر في حياة الفرد وأنزلته منزلاً مباركا.

من الجميل أن تجتمع الأسرة لتناول الطعام ومن الجميل أيضاً أن تكون الرابطة الثقافية حاضرة في البيت تشد أواصر القرابة والصدقة بين جيل الكبار والصغار. أشارت المريية والكاتبة الإماراتية مريم النعيمي إلى أسلوبها الراقي في غرس المفاهيم السابقة في منزلها فقالت "جلست في صبيحة هذا اليوم وكان هدفي أن يعيش أفراد عائلتي أجواء كتاب ممتع من كتب التربية وبالفعل عقدت حلقة نقاشية مفتوحة مع ابنتي؛ نورة وفاطمة لشرح كلمات الكتاب وعباراته وأفكاره الهامة. جلسنا قرابة ساعتين نقرأ في الكتاب وقد توليت الشرح والتعليق على بعض ما جاء في الكتاب من مواقف تاريخية تدور حول التربية والمربين، والأدب والمؤدبين. كم كانت فرحة نورة وفاطمة كبيرة حيث تركت فاطمة كتابها الذي تقرأه، وتوقفت نورة عن متابعة كتابها أيضاً بعد أن طلبت منهم مشاركتي في قراءة الكتاب. كان تعليقاتهم إيجابياً وتفاعلهم مع أفكاره كبيراً".

ومن جهة أخرى هناك محاولات غريبة جادة لتشجيع الفردية الجاحمة، ولهدم القيم الاجتماعية، وتهوين شأن الكيان العائلي، وتقويضه. للأسف حققت تلك المحاولات شطراً من أهدافها ولكن فطرة الله التي خلق الناس عليها تقودنا إلى الاحتماء بالأسرة والانتماء لقيمها، لأنها صبغة الله فلا تبدل لها، ولا تحوّل عنها. هذه المحاولات المنظمة والهجمات المركزة لتفكيك وتفكيك عناصر الأسرة لن يستسيغها أصحاب الفطرة السليمة وهذه دعوة ملوثة تلوث من يؤمن بها ويروج لها. الأسرة بمثابة الثوب الفطري السابغ للإنسان فالأسرة ستبقى حتماً وصدقاً الخلية المجتمعية الحية للأبد. أما فكرة إلغاء نظام الأسرة وتفريغها من قيمها الرشيدة، وأخلاقها العفيفة، وأدابها اللطيفة فهي فكرة متهافئة ستندحر يوماً وكما قال الشاعر :

كَنَاطِحٍ صَاحِرَةٌ يَوْمًا لِيُوهِنُهَا      فَلَمْ يَضُرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهِ الْوَعْل

يستطيع الفكر الفاسد أن يهدد النظام الأسري ويلحق به الأضرار وترتفع أصوات دعائه بين الفينة والفينة ولكن هذا الفكر الذي يقلل من شأن الروابط الأسرية ويقوض قيمها يعجز عن إزالة العائلة ومعانيها الطاهرة النظيفة من وجدان الوجود الاجتماعي وسوف تبقى الزهور تتطلع للنور أو كما قال جبران خليل جبران "تستطيع أن تسحق الزهرة تحت قدميك، ولكن أئى لك أن تزيل عطرها".

### فسيولوجية الأم بعد سن الطمث

افهمي المراحل العمرية لوالدتك كي يكون تواصلك صحيحا.

يُعدُّ علم الفسيولوجيا physiology أحد العلوم الأساسية الذي يبحث في الآليات الوظيفية للخلايا والأعضاء المختلفة ضمن إطار الوحدة العضوية. ويتركب جسم الإنسان من نحو 100 تريليون خلية، تُعدُّ كل منها الوحدة الوظيفية الأساسية في البدن، إذ تقوم بوظائفها بالتآزر مع بقية الخلايا الأخرى، وتشكّل كلُّ مجموعة من الخلايا المتمايزة نسيجاً خاصاً يكوّن الأعضاء المختلفة التي تعمل على نحو يؤازر بعضها بعضاً بصورة تحافظ فيه على استمرارية بقاء الإنسان بصحة جيدة" (الموسوعة العربية، 2004م). وبموت الخلايا يبدأ العد التنازلي في صحة الإنسان.

"لم يعد من المقبول طبيا الآن استخدام لفظ (سن اليأس) لوصف المرأة التي قاربت الخمسين عاما من العمر فتلك التسمية تعود إلى سنوات طويلة لم يكن متوسط الأعمار فيها يجاوز 60 عاما. ونحن الآن في عصر جديد ارتفع فيه متوسط عمر الإنسان إلى 76 عاما تقريبا" (الأمانة العامة للأوقاف، 2001م). سن اليأس وصف يتضمن رؤية تشاؤمية رغم شيوعها وسعة انتشارها في الأدبيات العربية الدينية والصحية والتربوية.

انقطاع الحيض menopause عند المرأة بسبب توقف المبيضين عن إفراز هرمون الإستروجين يحدث على الأغلب بين الأربعين والخامسة والخمسين من العمر، ولم تتبدل السن التي يحدث فيها انقطاع الطمث من أقدم العصور حتى اليوم في حين تناقص سن البلوغ مع الزمن، ولم تكن دراسة آلية انقطاع الحيض وما يحدث فيه من تبدلات واضطرابات ميسورة في الماضي لأن متوسط عمر المرأة كان ستين سنة لذلك كانت مدة الحياة بعد انقطاع الحيض قصيرة، ولكن طول أعمار النساء في الوقت الحاضر الذي صار نحو ثمانين سنة من العناية الصحية أطال هذه المدة وصارت دراستها لذلك ممكنة ومفيدة (الموسوعة العربية، 2004م). وعلى ضوء الدراسات المتخصصة فإن انقطاع الطمث قد ينجم عنه بعض الأعراض الانفعالية من مثل الخمول العام وضعف الذاكرة ونقص القدرة على التركيز، وتصاب 20% من النساء

في هذه السن بالقلق والاكتئاب الشديد الناجم عن رد فعل المرأة تجاه الشعور بجرمها وإحساسها بالنقص لزوال قدرتها على الإنجاب. وثمة تغيرات أخرى تلحق جسد المرأة وقد تنعكس على نفسياتها مثل بياض الشعر وكثرة تجاعيد جلدها مع ازدياد نمو شعر الوجه، ويزداد تجمع الشحم حول منطقة الخصر والظهر وربما نقص الطول مع حذب الظهر.

تمر المرأة بعد سن انقطاع الطمث بظروف نفسية وصحية يجب الانتباه إليها منها "الشعور بالسخونة (Hot Flashes). وتعاني حوالي 75% من النساء من هذه الظاهرة خلال مرحلة التغيير والتي تحدث نتيجة تأثير منطقة بالمخ تسمى بمنطقة (تحت السرير) وهي المنطقة المسؤولة عن التحكم بحرارة الجسم بالتغيرات الحادة في معدل هرمون الأستروجين. وعادة ما تزداد معاناة المرأة من الشعور بالسخونة في العام والعامين التاليين لمرحلة التغيير وبعدها تخففي هذه المعاناة. اضطرابات النوم .. صعوبة الخلود إلى النوم أو الاستيقاظ المتكرر أثناء الليل هي أعراض معتادة أثناء هذه المرحلة ويميل بعض الأطباء إلى الربط بينها وبين نوبات الشعور بالسخونة لكن آخرين لا يتصورون إمكانية هذه العلاقة. التغيرات المزاجية.. الاكتئاب، الإحباط، التوتر وسرعة الاستثارة. تلك التغيرات أمور معتادة وتعود إلى التغيرات الهرمونية غير أن مشاعر المرأة وأحاسيسها هي العامل الأكثر تأثيرا في حدوث تلك التغيرات" (الأمانة العامة للأوقاف، 2001 ص 2).

وعلى الصعيد النفسي، تتميز الصداقات الأنثوية في مرحلة الرشد بالدفء الوجداني كما تتميز صداقات النساء بعمق المودة وشدة الخصوصية والتلقائية وتبادل الثقة والإفصاح عن الذات. وتنحسر الصداقات في مرحلة الشيخوخة كما تشير بعض الدراسات حيث تفرض ضعف الصحة وقلة فرص الاحتكاك الاجتماعي بعض القيود الاجتماعية. ومن أسباب هبوط معدلات الاجتماعي لدى كبار السن موت شريكة الحياة أو بعض المقربين مما قد يسبب العزوف عن الحياة الاجتماعية (أبو سريع 1993م، ص 102-106). رغم قلة عدد الأصدقاء في هذه المرحلة إلا أنهم يلعبون دورا حيويا في تقديم العون النفسي وتفعيل التكافل الاجتماعي.

يجب أن توفّر لكبار السن شروط مادية محترمة في مسكن لائق، وأن يحاطوا بعناية الأهل والأصدقاء، وأن توفر لهم أعمال تتفق وإمكاناتهم، فالبطالة أكثر إيذاءً من العمل المضني (الموسوعة العربية، 2004م، الشيخوخة). وفي الكويت تكشف الدراسات أن مرحلة الشيخوخة تحمل عدة مشاكل للإناث أهمها الشكوى من ضعف في القلب، مرض السكري، تناقص القدرة العقلية، فقدان الحماس، تجاهل الأسرة، مشاكل أوقات الفراغ. أما المسنون والمسنات في دار الرعاية فلهم مشاكلهم الخاصة بهم كفقْدان الشهية للأكل، رغبة في التنزه، الحاجة للوعظ الديني. الملل شعور يصيب المسنين

فيجعل الدنيا أضيّق من ثقب إبرة وسببه المباشر هو الجمود والرتابة التي يعيشها الشخص (الميلادي، 2006م، ص 70، 99).

## الفصل الثاني: ممارسات

### صفات البنت الصديقة لأُمها

- 1- النية الصالحة واحتساب الأجر في حسن صحبة الأُم. لا تصح الأعمال بنية باطلة أو غفلة القلب أو أداء الفعل لمجرد اتباع العادات المألوفة، ومسايرة الناس ومجاراتهم أو مداراتهم.
- 2- لدى البنت الرغبة العارمة وعندها القناعة الجازمة بأهمية مصادقة الأُم فالصداقة حديقة غناء تجعل الحياة خير مقاما وأحسن نديا. عادات الصداقة الحسنة تجعل منتدياتنا وأسرنا في مأمن من عواصف الفتن والمشاحنات. إن التصدع الأسري بلاء منتشر يجب أن نكون منه على حذر فهو يقصف بنيان العوائل، ويعصف كيانها بالمشاكل، ويدك عقرب البيوت دكا ويفتك بها فتكا.
- 3- الإحسان في العمل. قال أفلاطون "لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ من هذا العمل وإنما يسألون عن جودة صنعه".
- 4- الحرص على الصحبة الحسنة والتشبه بأهل الصلاح فلاح، ومن عاشر قوما أصبح منهم - كما في المثل اللاتيني (هاينز، 2009م، ص 62). ومن أمثلتنا العربية السائرة "مَنْ عاشر قوماً أربعين يوماً فهو منهم".
- 5- اختيار مسار الصداقة وتوعية النفس بأن ميدان الصداقة ميدان فسيح يسع الروابط الأسرية، ويرحب بأدائها الحميدة، ويضيف إليها المزيد من المحبة والمودة والديمومة والمرونة. الصداقة تعضد القرابة وتزيدها تأكيداً، ولا تضعفها أبداً.
- 6- الحذر من الجدل العقيم. قال ديل كارنيجي (2010م) "استمعت وشاركت وراقبت أثر آلاف المجاملات وخلصت إلى أن هناك نتيجة واحدة فقط لكسب الجدل وهي أن تتجنّب كلية. تتجنّب مثلما تتجنّب الثعابين والزلازل" (ص 107).

7- امتلاك الطموح العالي للوصول إلى أعلى درجات الصداقات مع الأم. الجد والطموح من صفات الإنسان الناجح في مسالكه وعلاقاته. كوني طموحة وستجدين لذة الصداقة في القول والعمل أشهى من العسل، وأعلى من الدرر الفريدة.

8- تحري الصدق. ولا شك أن الكذب على الأم من أكثر الآثام جرماً وأعظمها إيماً أما الصدق معها راحة حقيقية لا تعادلها راحة وطاعة عظيمة المثوبة. عندما نتفحص بدقة قصص الفتيات اللاتي وقعن في الزلل نجد الكذب على الأمهات أساس الوقوع في الأزمات والمهلكات. الصدق أول عوامل جذب الصديق، وإنارة الطريق، والخروج من الضيق. قال تعالى {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة: 119). وقد قيل "من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل، وعليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفحك ودع الكذب حيث ترى أنه ينفحك فإنه يضرك.. عَلَيْكَ بِالصَّدْقِ وَإِنْ ضَرَّكَ فِي الْعَاجِلِ كَانَ فَرَجاً لَكَ فِي الْآجِلِ".

9- بذل المستطاع لنيل صداقة الأم. لا شك أن كل علاقة إنسانية تعترضها العقبات وبذل المستطاع هنا أن تكوني عصية على المحبطات لا تقبلين المثبطات وتسعين نحو هدفك باذلة جهدك، مزاولة عملك في تعميق عرى الصداقة. لا تظني أن درب الصداقة الأسرية قد فرش بالورود فهذا وهم وسراب بل لا بد من السعي الحثيث وعدم الاستسلام للمعوقات.

10- الإيمان بحق الأم العظيم على البنت ومهما فعلنا لا نقدر على جزاء الأمهات والله وحده القادر على ذلك فحق الأم العظيم، وفضلها جسيم. رأى ابن عمر رجلاً يطوف بالبيت حاملاً أمه، وهو يقول لها: أتريني جزيتك يا أمه؟ فقال ابن عمر: ولا طلقة واحدة، أو قال: ولا زفرة واحدة.

11- التعبير عن جميل مشاعر الحب والصداقة قولاً وعملاً تجاه أمك عبر الكلمات الدافئة، والرسائل النفيسة، والهدايا البديعة.

12- ومن أخص صفات البنت الراغبة في مصاحبة أمها التخلق دائماً بحسن الاستماع للأم وإبداء الاهتمام بكلامها ومشاعرها وهمومها وتحدياتها في مجال عملها أو في نطاق الأسرة.

13- الاهتمام بحاجيات الأم وتأمين ما يمكنك توفيره مع التواجد بقرتها.

14- احترام صديقات وقربيات الأم والإحسان لهن والجلوس معهن لبعض الوقت إن سمح الوضع بذلك.

15- إكرام خالاتك وعدم التناقل في البر بمن فعن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْحَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ". وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمَّ؟» قَالَ: لا، قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ حَالَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَبَرِّهَا». وقال الإمام أحمد: بُرِّ الْوَالِدَيْنِ كَفَّارَةُ الْكِبَائِرِ.

16- الحرص على معرفة هوايات الأم ومشاركتها في ممارسة بعضها.

17- التنسيق والتوفيق بين صداقات البنات الشخصية وبين صداقة الأم.

18- الاستفادة من الخبرات الإنسانية المحلية والعالمية التي تعلي من شأن الصحبة الأسرية وتقدم خبرات من شأنها أن تشد من أزر التواصل الأسري.

19- المحافظة على القيم الأخلاقية العالية والجدية المقترنة بالإنتاج والإصلاح، والابتعاد عن الافتتان باللهو واللعب والترفيه. قال علي الجارم:

لَا يُرَبِّحُ مَنِ أُمَّةٍ مَفْتُونَةٍ بِاللَّهِوِّ وَالتَّسْوِيفِ أَيُّ فَالِحٍ  
خَوْضُوا الصَّعَابَ وَلَا تَمَلُّوا إِنَّمَا نَيْلُ الْمُئْتَى بِالصَّبْرِ وَالْإِحْسَاحِ

20- عدم اتخاذ الصحبة وحسن ملازمة الأم مبررا للتقصير في الاستحقاقات الدراسية، وحجة للتهرب من الواجبات الاجتماعية.

21- العناية بتجديد علاقة الصداقة مع الأم فكل أمر نفيس لا نعني به سيخبو نوره، وسيضعف ضياؤه. وسوف نتحدث في هذا الجزء من السلسلة عن الخطوات العملية لتحير علاقتنا من الجمود وذلك تحت عنوان "جددي فكري تتألق صداقتك".

22- أبرز الصفات التي ترغبها السيدات في الصديقات المقربات إليهن: أن تكون الصديقة جديرة بالثقة-الجود والكرم-المودة-الدكاء-الاهتمام-الحماس-السلوك القويم-الأناقة-البشاشة-رقة المشاعر-الرحمة (هاينز، 2009م، ص 55).

23- الحذر من إغضاها فقد جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبايعه على الهجرة، وترك أبو به بيكيان قال: فارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما. "جاء رجل إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَهُ مِنَ الْجِهَادِ فَقَالَ أَحْيِي وَالِدَاكَ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ فِيهِمَا فَجَاهِدْ".

هذا اللون من الجهاد الاجتماعي هو الذي يغفل عنه كثير من الناس يمكن أن نجعل له نصيباً في صداقتنا مع أمهاتنا.

24- الدعاء لها في ظهر الغيب بانتظام. {وَاحْفَظْ لَهَا جَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا} (الإسراء: 24). هذا الدعاء يعطينا المدد في مواصلة السير، وبذل الجهود، ووضوح المقصود. ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أن ترك الدعاء للوالدين يضيئ العيش على الولد.

### فنون الصداقة

من أهم الطرق المؤدية إلى كسب قلوب الآخرين استحضار النية الصالحة. إن جميع أعمالنا محكومة بالنيات ولهذا لا بد من تجديدها كي لا تصبح صحبتنا لأمهاتنا من باب الفرض الاجتماعي الثقيل على النفس. قال محمد فتح الله كولن "الصداقة قبل كل شيء عمل قلبي. فمن توهم أنه يستطيع الحصول عليها بالرياء والخداع فهو مخدوع. وقد يجتمع لفترة محدودة حول أمثال هؤلاء ثلاثة أو أربعة من الأفراد البسطاء المنخدعين بتملقه ومداهنته، ولكن لا يوجد أي احتمال لاستمرار هذه الصداقة مدة طويلة".

قال علماؤنا "الجزء الذي هو النية خير من الجزء الذي هو العمل لاستحالة دخول الرياء فيها، والنية خير من جملة الخيرات الواقعة بعمله والنية فعل القلب وفعل الأشراف أشرف، والقصد من الطاعة تنوير القلب وتنويره بها أكثر لأنها صفة. المؤمن كلما عمل خيراً نوى أن يعمل ما هو خير منه فليس لنيته في الخير منتهى". "وَعَزِمَةُ الْقَلْبِ قَدْ تَصِيرُ قُرْبَةً بِلا فِعْلٍ؛ لِأَنَّهُ يَحْضُلُ لَهُ الثَّوَابُ بِمُجَرَّدِ نِيَّةِ الْخَيْرِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ". قال الغزالي ينبغي "أن يعوّد القلب إرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكسب على الذكر والفكر" وحسن السلوك.

الذي يصفني علاقته مع الله سبحانه تستقيم علاقته مع الناس. كَتَبَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبني إلى كتاباً تُوصيني فيه ولا تُكثري عليّ، قال: فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها إلى معاوية: سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ التَّمَسَّ رِضًا اللَّهُ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَوْثِقَةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضًا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ" وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ. وفي الأثر «رَأْسُ الْحِكْمَةِ خَافَةُ اللَّهِ». "لأن الحكمة تمنع النفس عن المنهيات والشهوات والشبهات ولا يحمل على العمل بها إلا الخوف منه تعالى فيحاسب النفس على كل خطرة ونظرة ولذة

ولأن الخشية تدعوه إلى الزهد في الدنيا فيفرغ قلبه فيعوضه الله في قلبه حكمة ينطق بها فالخوف سبب وأصل لورود الحكيم. والحكمة العلم بأحوال الموجودات على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية ويطلق على المعلومات وعلى إحكام الأمور وسلامتها من الآفات وعلى منع النفس من الشهوات وغير ذلك وأوثقها العمل بالطاعات " (فيض التقدير للمناوي). "فالسعيد من أصلح ما بينه وبين الله فإنه من أصلح ما بينه وبين الله ما بينه وبين الخلق".

القصد من التواصل الأسري تحقيق قدر من التعاطف والتآلف والتكاتف مع الآخرين بهدف تقوية إرادتهم في العيش الكريم والاستمتاع بمباهج الحياة وتشجيعهم على قبول أنفسهم والتصدي للمصاعب برباطة جأش وسعة صدر. الفتاة التي تتحرى تشجيع والدتها على ذلك هي الفتاة التي ملكت فنون الصداقة واستوعبت مقاصدها ووعت آلياتها. قيادة الصداقة إلى مقاصدها الصحيحة هي قدرة الصديق على توفير تحقيق ربح معنوي مجزٍ لصاحبه ينتقل به من حال إلى حال أفضل. ومن هنا أصبح انتقاء العبارة وبناء الفكرة وإظهار الحفاوة قنوات البنت لإشباع الأم عاطفياً والارتقاء بها روحياً. تحتاج الابنة إلى سداد التفكير وحضور الذهن وإلى امتلاك قدرة راسخة على التشجيع والتحفيز لرفع معنويات الأم لنتفتح مداركها على الخيرات من حولها لزيادة معدلات العطاء لديها. وهكذا فإن الصداقة يمكن أن تكون واسطة لبلوغ غايات عملية جديدة تخلص الحياة من عوالم الملل ومن الجنوح للفتن والركود، وتفتح أبواب الفكر والروية، والحس والإدراك للعيش في ثوب واسع من الأمن واليأس واليسر. لا تكتمل صحبة الأم حتى ندرك ونستشعر بعض معاناتها. إن البنت التي تطلع على حكمة التشريع الإسلامي تدرك عظمة هذا الدين العظيم من جهة، وتستشعر الأمانة الكبرى تجاه رعاية حق الأم. "أوصى الله تعالى بالوالدين إحساناً، وأمر ببرّهما وطاعتهما والإحسان إليهما، وخصّ (الأم) بمزيد من العناية والاهتمام، فجعل حقّها أعظم من حق الأب، لما تحمّلته من شدائد وأحوال تجاه طفلها الوليد، ولما قاسته من آلام في سبيل تربيته وحياته. فمن أحقّ بالعناية والرعاية من الأم؟! الأم التي حنت عليه فغذته بلبّانها، وغمرته بحنانها، وآثرته على نفسها وراحتها فشقيقت من أجل سعادته، وتعبت من أجل راحته، وتحملت الأثقال والآلام في سبيل أن ترى وليدها زهرة يانعة، تعيش بين أزهار الربيع، فكم من ليلة سهرت من أجل راحته، لتطرد عنه شبح الخوف، أو تزيل عنه ألم المرض، وكم من ساعة قضتها بين جدران البيت تحمله على يديها، متعبة مثقلة لتواسيه في وقت شدته ومحنته" (تفسير آيات الأحكام للصابوني).

الدين في التعامل مع والدتك مصدر أمان وحصانة للعلاقات الحميمة. يمتص الرفق حدة المشاجرات التي تقع في بعض الأحيان من أجل قضايا صغيرة يضخمها الغضب ويستغلها الشيطان. ولعل نكران جميل الأم من أصعب ما تجرح مشاعرها المرهفة فبعد كل العطاء قد تقسو قلب الابنة يوماً فتتلفظ



بكلمات فظة لا تليق بمكانة الأم وكأن جزء إحسانها وتعليمها مجادلة عقيمة تستفزها وتثير غضبها حتى تهيج وتموج الشجون. كيف نقوم ببناء علاقة اجتماعية يسودها الوئام والتآلف مع الآخرين؟

- تفاعلي مع لغة جسد المتحدث.
- أنصتي إلى نبرة صوت المتحدث واستجبي له بما يتناسب مع الوضع.
- اطلبي المساعدة من الآخرين.
- حاولي أن تكتشفي النقاط المشتركة بينكما.
- انصتي كثيرا وتحديثي قليلا.
- اطرحي أسئلة ذكية.
- اظهري استمتاعك بصحبة الشخص الآخر.
- عبري عن صداقتك بطرق تستهوي صديقاتك (هاينز, 2009م، ص 24).

• الابتعاد عن الغضب الشديد. قال جبران خليل جبران "إذا كان قلبك بركاناً، فكيف تتوقع أن تزهر الأزهار بين يديك؟".

يقول محمد فتح الله كولن "وأول وصية لمن يريد تربية ملكاته الروحية هو وجوب سيطرته على لسانه والحذر من الكلام عشوائياً. والذي يفتح فاه ويكثر من الهذر... مثل هذا الشخص قد يسوقه لسانه هذا - الذي يكون عادة أكبر من عقله وأطول - إلى الخسران. على قدر ابتعاد الإنسان عن مرض العجب بنفسه وبكلامه وعن عدم إعطاء فرصة الحديث للآخرين يكون قريباً من الخالق ومن المخلوقين ومحبوياً لديهم" (باختصار).

ينصح المعنيون بشئون الصداقة بالثناء على الأصدقاء أمامهم وفي حال غيابهم. لا يهيم بالمرّة ما إذا كان الشخص الذي تتنين عليه متواجداً أم غير متواجد. لقد سبق وقدمت له الشكر بنفسك عندما أسدى لك الخدمة ولكن لا يقف الأمر عند هذا الحد أبداً. إن إخبار الآخرين بالدور الذي لعبه شخص ما في بناء نجاحك أو تقديم خدمة مهما كانت صغيرة سوف يعود على الجميع بالمكسب والمغنم. إن التعليقات الإيجابية سوف ترتد إليك لا محالة تماماً مثل التعليقات السلبية. عندما تعلم أختك أو والدتك أو أخوك بأنك أثبتت عليهم في غيابهم فسوف يكون للمجاملة وقع أروع من سماعها المباشر منك. وحتى إن لم تصل كلماتك إليهم عن طريق الغير فسوف ترفعين من شأنهم في نظر الآخرين

بكلماتك الرقيقة مما سوف يمنحك أيضا ميزة التواضع والاعتراف بجميل الغير وتقدير كل ما يسدونه لك من مساعدة (كارنجي، 2010م، ص 153).

ذكر فضائل الأم ومواقفها من أعظم الوسائل لتقريب القلوب واستنبات العلاقات الأسرية. تقول فاطمة التمار وهي خريجة قانون (كلية الحقوق جامعة الكويت) عن جميل صحبة والدتها "حرصت والدتي -بارك الرحمن خطاها أينما حلت وارتحلت- على جعلي ليس فقط أتعود على القراءة بل أعشقها عشقاً، ولازلت أذكر منذ أن كنت طالبة في الصف الثالث الابتدائي، كانت تقول لها مُدْرِستي: "إن معلومات ابتك أكثر من معلوماتي"، ولا أنسى ذلك الموقف الذي رُسم في عمق ذاكرتي، حينما اصطحبتني والدتي إلى المكتبة لشراء بعض الأغراض الواجبة في التربية القرائية، واشترت لي دفترًا وبعض الرسومات الملصقة لكي أستخدم هذا الدفتر في تلخيص ما أطلع عليه من كتب وجرائد يومية، وكانت تصححه لي وترشدني وتوجهني، وكانت تعلمنا طريقة شراء الكتب وكيف ننتقيها... وكنت أقرأ وأضع الخط تحت الكلمة التي لا أعرفها، وكانت توضح لي معناها، وهكذا نشأنا وركن المكتبة عندنا شيء أساسي في البيت".

البنيت المتكبرة المتغترسة التي تنزع رداء معالي الأخلاق في التعامل مع والدتها تتلفظ بعبارات قاسية ولا تراعي مشاعر والدتها وتخرجها بأفعالها الشائنة وهي ابنة عاقبة تغضب الله سبحانه وتحرم نفسها من بركة صحبة والدتها. التمسك بحسن الخلق والحذر من سوء الخلق من أهم أوليات البر بالوالدين والحرص على صداقتها حق الصداقة. حاول بعض العلماء الإشارة إلى معظم الأخلاق الذميمة التي من شأنها أن تحدش أو تكسر جرة الصداقة وتفسد العلاقات الحسنة منها: اعتقاد كمال النفس، والاستنكاف من التعلم والاتعاظ، والتماس عيوب الناس، وإظهار المعصية، والإيذاء والاستهزاء، والإعانة على الباطل، والانتقام للنفس، وإثارة الفتن، والإصرار على الذنب والبخل، والبطالة، والتجسس والتبذير، والتملق، وتضييع الوقت بما لا يعني، والتنازب بالألقاب والتعبيس، والتسويق، والتهور، والجهل، وجحد الحق، والجدال، والجفاء، والجور، والحزن الدائم، والخديعة، وخلف الوعد، وسوء الظن، والغضب والغرور والغفلة، وقطع الرحم والكبر وكفران النعمة، وكثرة النوم واللوم، والمزاح المفرط واليأس من الرحمة (انظر المناوي، فيض القدير). لا ريب أن هذه الأخلاق المذمومة يقع في بعضها الإنسان أحيانا فعليه أن يكون يقظا كي يتجنبها لأنها تنخر أخلاقنا، وتفسد علاقاتنا. قال الجريري "وحيق علي من كرمت نفسه عليه، وحببت منافعها إليه، أن يسعى في اكتساب ما يزينها ويصلحها، ويهذب أخلاقه وينقحها، ويهجر مذموم الخلاق ويطررها".

الأخلاق ثم الأخلاق وإلا الفشل يتلوه الفشل، ونخسر الأصحاب ونشقى مع الأحباب. من ساءت أخلاقه وانحرفت سلوكياته طاب فراقه وزادت وحدته ووحشته لأن من ضاق خلقه سئم منه أقرب

أهله وأعز جيرانه، وأستثقله إخوانه. قال عمر بن الخطاب إذا كان في الإنسان عشر خصال تسعة منها صالحة وواحدة هي سوء الخلق أفسدت هذه الخصلة تلك التسعة. قال الشاعر :

وكم من فتى أزرى به سوء خلقه فأصبح مذموماً قليلاً المحامد

قال علمائنا " الواجب على العاقل أن يتحجب إلى الناس بلزوم حسن الخلق: وترك سوء الخلق؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا، كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيئ ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها، وخلق سيئ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الصالحة كلها". وقالوا: ومن نام على فراش الكسل، أصبح ملقى بوادي الأسف، الجد كله حركة، والكسل كله سكون.. الفتور عن السعي في طلب الفضائل، دليل على مرض العزم. ولكي تتغلب الابنة على جوانب الكسل لديها فعليها أولاً احتساب الأجر والحذر من العقوق ثم عليها أن تبرمج نفسها إيجابياً وتعطي نفسها رسائل عقلية تؤكد على أنها قادرة على القيام بما تريده والدتها منها. إذا اقتنعنا أننا كسالى ولن نستطيع أن نكون نشطاء فإن هذا الشعور سيتحكم في تصرفاتنا حتى تصبح راسخة. كان ابن عباس "يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : إِيَّيْ كَسْلَانٌ". وهذا دليل تراثي بسيط على أن أحاديث النفس وخواطرها تمتد إلى عالم السلوك فعلينا الحذر في اختيار ألفاظنا وبناء أفكارنا فهي ليست بمعزل عن تصرفاتنا.

### فتور العلاقات

بدايات الصداقة ممتعة ثم تطول أيامها وتزيد ألفتها فتصير مملة جامدة لا تحركها إلا نسيمات التجديد، وحسن التغيير. فتور العلاقات يؤدي إلى ضعف الصداقات. كيف تجنبن من عسل صداقة والدتك دون أن تكسري أو تضيعي جرة العسل. جرة العسل المكشوفة قد تستقطب الذباب وقد تقع ذرات الغبار عليها، ولا بد من تأمين جرة الصداقة من الأخطار وكذلك مشاعر البنت تجاه والدتها قد تتعرض من حين لآخر إلى فتور ونفور وجفوة فكيف نصون رحيقها من التعكير عبر لمسات تحفظها وتصونها فالفتور في العمل كالخل للعسل. فتور العلاقات الإنسانية من أبرز أسباب نفور النفس، وجفوة القلب، وقسوة الروح. تأليف القلوب نعمة من أعظم النعم لا تُشترى ولا توهب ولا تورث واستشعار هذه النعمة وشكرها بالعمل الصالح من أقوى الأسباب على ديمومتها وزيادة بركتها. كل أمر نفيس لا نقوم بمعاهدته يصبح واهنا فالتراخي في حفظ وصيانة ورعاية الأشياء والمشاعر غاية في الأهمية.

أخطر أمر في فتور العلاقات الإنسانية أن تصبح الجفوة عادة تستحكم في السلوك، وتسيطر على الشخصية فتصبح العزلة الشعورية خياراً والهجران النفسي مقبولاً ومن أَلِفَ شدة الطباع وقسوتها وجفوتها

اعتاد الفراق بل استطاب مذاقه وهان عليه التواصل مع أصدقائه ولو كانوا أقرب الناس إليه. كسر العادات المذمومة غاية في الصعوبة إذا التصقت في الضمائر والسلوكيات ولكن الأمر ممكن عبر جسور التربية السوية، والإرادة القوية. الصداقة والإخاء كما قيل "جَوْهَرَةٌ رَفِيقَةٌ وَهِيَ مَا لَمْ تُؤَفِّهَا وَتَحْرُسْهَا مُعَرَّضَةٌ لِلآفَاتِ". ومن الأمور التي تضعف وهج الصداقة الشعور بالملل والرتابة ولهذا فإنه "ليس لملول صديق". قال علي رضي الله عنه: "لا راحةَ لِحُسُودٍ ولا إِحَاءَ لِمُلُولٍ ولا مُحِبَّ لِسَيِّءِ الخُلُقِ".

ولعل عدم السؤال عن الوالدة والأقارب عبر الهاتف وغياب الزيارات المتواصلة من الآفات الاجتماعية التي تهدد أمن وسلامة البناء الأسري ولا عذر لتبرير التقصير فالانشغالات الدنيوية سنة الحياة وليست ذريعة للتهرب من المسؤوليات. روى البيهقي في الآداب عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ" لأن قطع الزيارات هو منع تدفق المودة وتجفيف منابعها، فالفراق يمنع تقارب القلوب. ومن الأسباب التي تجعل الفتاة بعيدة عن التواصل مع والدتها كثرة العتاب وهذا سبب ينبغي أن لا يؤدي إلى الجفوة فالعتاب من الأحباب دليل محبة مهما اختلفنا في طريقة إرساله وكما قال الشاعر:

إذا ذهب العتاب فليس ود      ويبقى الود ما بقى العتاب

ودور البنت أن توصي والدتها بتقليل العتاب فكما قيل: إن الإنسان لا يكاد يجد محبوبا ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يجب. وأنشدوا في هذا المعنى:

ومن لم يغمض عينه عن صديقه      وعن بعض ما فيه يمتُّ وهو عاتبُ  
ومن يتبَّع جاهدا كلَّ عَثْرَةٍ      يجذُّها ولا يسلم له الدهرَ صاحبُ

وقد تقع الابنة في أخطاء معينة فتبتعد عن أمها وتزيد المسافة بينها مما يسبب الجفوة. إن إتقان فن الاعتذار خلق حضاري ملازم لنا لأن طبيعتنا البشرية غير معصومة من الزلل. الاعتذار علاج لتجديد العلاقات وحفظها من الجفوة ومن هنا قالوا "إذا اعتذر الصديق إليك يوما فتجاوز عن مساويه الكثيرة". يدرك العارفون بخبايا فن الصحبة أن الاعتذار مهارة تنبع من شجاعة ذاتية. قال الشاعر:

إذا اعتذر الصديقُ إليك يوماً      من التقصيرِ عذراً أخٍ مقرِّ  
فصُنِّهُ عن جفائك واعفُ عنه      فإن الصفح شيمة كل حرِّ

## وقال المتنبي

أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ قَبْلَ جِسْمِهِ وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ  
وَأَحْلُمُ عَنْ خَلِيٍّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمُ

لا تتوقعي أن الاعتذار يكفي ويغني في كل الأحوال، بل عليك تقديم الضمانات على عدم تكرار الخطأ الذي أزعج والدتك ومن حقها أن تلومك وتعاتبك وهذا لا يجرح أبدا روابط الصداقة فالصداقة - كما ذكرنا أكثر من مرة في هذه السلسلة - لا تعني أنها ضد الأمومة ولا تعني التخلي عن معادلات الحقوق والواجبات بل هي رابطة تسهم في تجذير ما سبق وتقوم بتطعيم القرابة بفوائد الصداقة. قال السلمي في كتابه آداب الصحبة "مِنْ آدَابِ الصُّحْبَةِ قَبُولُ الْعُذْرِ، وَالصَّبْرُ عَلَى جَفْوَةِ الْإِخْوَانِ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَى... والبر والصلة، والبر بالنفس، والصلة باللسان، والبر أتم من الصلة وأفضل لذلك خص به الوالدان تعظيما لحقهما النبيل".

وإذا اتجهنا نحو الدعاء الصالح فنجد أنه به يحصل الصفاء وتجاوز المشاعر السلبية فالدعاء لا نظير له في بلورة أهدافنا وتحقيقها ومن موجبات المغفرة. والمؤمن محب للدعاء فهو حصنه وسلاحه {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} (إبراهيم: 41). وقال جل ثناؤه في هذا الصدد {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (لقمان: 14). {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} (نوح: 28). ولهذا كله نجد الصالحين يسرون على هذا الدرب القويم. قال الإمام زين العابدين رضي الله عنه "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي ... أBRهْمًا بِرِ الْأُمِّ الرَّؤُوفِ؛ وَاجْعَلْ طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ وَبِرِّي بِهَمَّا أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ، وَأُتْلِجْ لَصَدْرِي مِنْ شَرِّبَةِ الظَّمَانِ ... (انظر فضل الله، 2009م، ص 138).

فيما يلي مجموعة سلوكيات هي مكدرات تكدر صفو الصداقة مع الأم وتحملها نحو هاوية الفتور:

• لا تقللي من شأن عملها اليومي في البيت أو خارجه واحذري من التلطف بالعبارات المحبطة؛ "أنت ربة منزل وهذه ليست وظيفة"، "لديك فراغ كبير وليس لديك ما تفعلينه"، "العمل المنزلي عمل بسيط كل شخص يمكنه القيام به"، "إنها مجرد وجبة عشاء"، "لا تذهبي إلى العمل غدا فإنني أحتاج إليك لأداء...".

• عليك بالابتعاد عن إملاء ما ينبغي أن تفعله أو تقوله والدتك فلا يليق بك أن تسفهي ذوقها في بضاعة اشترتها، أو ثوب تلبسه، أو عطر تستعمله. يمكنك التعبير

عن انطباعاتك بجزر وبكيفية تحبها أمك فالكلمة المتسرعة الطائشة تجرح كالسكين أحيانا. إلانة القول للأم واستعطافها على منهج مراعاة مشاعرها خلق البنت الذكية.

• إياك ثم إياك الاعتقاد بأن الصداقة مع والدتك تعني نزع قداسة الأمومة فالصداقة الأسرية واسعة المعاني لكنها لا تلغي مسافات الاحترام والتبجيل لمقام الأم.

• توقفي عن آفات المبالغة التي يرفضها الحس السليم واحترسي من عواقبها من مثل المدح الكاذب، والتملق الأجوف الذي يوحى بالاستخفاف عن قصد أو من غير قصد.

• الأحكام المسبقة تعيق التقدم والتجديد (أمي لن توافق على هذا الاقتراح...إنها لن تفهمي...لن تساعدني).

• احذري من تشتيت فكرها وهي تؤدي واجباتها المنزلة ولا تقدمي أولوياتك على أوليات غيرك إلا لضرورة قاهرة. يترك الأمهات أعمالهن لتلبية طلبات بناتهن مما يربك الأمهات ويبعثر مجهوداتهن.

• قدح ولمز صديقات الأم هو انتقاص لأحاسيسها.

• تحميل الأم أكثر مما تطيق من التكاليف ظلم وتعجز لها فللإنسان طاقات محدودة. "من سأل صاحبه فوق طاقته فقد استوجب الحرمان".

• عدم قبول هديتها ببشاشة وجه يحبط مشاعرها فإن توجيه الشكر له سحر في النفوس وله دور كبير في إشاعة عبق المودة، وصدق المحبة.

• الإعراض أو الانشغال عن الأم عندما تكون في حالة مزاجية سيئة من أعظم مكدرات صفو الأمهات. إن تقديم العون العاطفي عبر التواجد قريبا منها هو أبسط واجب يجب أن لا نتردد في تقديمه لنشد من أزرها، ونخفف مصابها، ونقلل من قلقها.

• التبسط المذموم مع الأم لدرجة المزاح معها بما يضايقها هو خروج عن حدود الذوق العام، وابتعاد عن التوسط الذي فيه النجاة. لا يحق لك نعتها بأوصاف (السمينة أو القصيرة...) فالأفراح تنقلب إلى أحزان بسبب سوء المزاح. قال الشاعر:

وإذا هويتَ فلا تُكنْ متهاكاً      في الحبِّ بل متماسكاً كي تُنتجني

فالحبُّ مثلُ البحرِ يأمنُ من مشى      في شَطَطِهِ ويخافُ كلُّ ملجج  
فاسلكُ سبيلَ تَوسِطٍ فيه تُصبُ      وإلى التَبَسُّطِ فيه لا تستدرج

قضاء أوقات الفراغ مع الأم تسلبية لها وقرية لله ووسيلة لإدخال السرور والفرح والبشر. ومن اللآلئ التربوية المنثورة والعقود التعليمية المنظومة قول ابن الجوزي رحمه الله: "اعلم أن الأيام تبسط ساعات.. والساعات تبسط أنفاساً.. وكل نفس خزانة.. فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء. فترى يوم القيامة خزانة فارغة فتندم". إن الابنة التي تتحدث مع أمها عن آلاء الله عليهما لا تشقى، والبنات التي تذكر الله مع والدتها وتراجع حفظها من كتاب الله أو تقرأ مع والدتها من كتاب نافع تكون في مجلس يحبه الله فيوثق علاقتهما ويرفع درجاتهما. ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الدِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيُخْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَفْعَلُونَ؟ قَالُوا: يَفْعَلُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحْمَدُونَكَ وَيُجَدِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَرَاهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ أَرَاهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ!! قَالَ "هُمُ الْجُلُوسَاءُ لَا يَشْفَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ". هذه مجالس لا تعرف الخسارة وهؤلاء قوم اختاروا الصحبة الحسنة فتجاوز الله عن زلاتهم. ولا بد لكل بيت أن يجعل له نصيبا من حلقات الذكر وتلاوة القرآن الكريم من حين لآخر كي تسود البركة وتعم الرحمة وفي الحديث الشريف "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ" (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

### جددي فكري تتألق صدافتك

إن الحياة في التجديد، والتجديد الإيجابي يكون بتبني الأفكار والخبرات السديدة وتحويلها بمرونة وفتانة إلى سلوك رشيد لما فيه خير الفرد والمجتمع. معظم حياتنا ثمرة لمعتقداتنا للتكيف مع تحديات البيئة فإذا اعتقدنا أن صدافتنا لأمهاتنا غير ممكنة فالنتيجة المنطقية أننا لن نفلح في إنشاء علاقة جيدة تنهل

من عالم الصداقة وآدابها ولن نفلح في أن نجعل حياتنا أكثر حركة وتشويقاً. من هنا ندرك أن المعتقدات السلبية الخاطئة والإيجابية الصائبة ذات تأثير في السلوك الإنساني وهي محركات لكوامن النفس، وعبر قنواتها تتشكل العادات الشخصية وتتنظم الأفعال للحصول على ما نصبو إليه من إشباع للحاجات وتحصيل مطالب الحياة فالسلوك السليم والتواصل الصحيح في معظم الأحيان ثمرة لما نخطط له على ضوء معتقداتنا وأفكارنا واجتهاداتنا. يقول وليام جيمس (William James): إن أعظم اكتشاف لجيبي، هو أن الإنسان يمكن أن يغير حياته، إذا ما استطاع أن يغير اتجاهاته العقلية. واعتبر الروائي الأمريكي هيبارد (Hubbard) أن صفاء الذهن خير وسيلة لبلوغ الأهداف الكبرى وأن الذهن الإنساني - بكل تحليلاته وتفاعلاته - يسيطر على جسد وأفعال الفرد إلى حد بعيد.

قال المفكر التركي محمد فتح الله كولن "فكر تسلل إلى أرواحنا واستقر فيها سيعطي ثمرته عاجلاً أم آجلاً. هذه الثمرة قد تكون شجرة طوبى في الجنة أو شجرة الزقوم في جهنم. إن الإنسان الذي توجد نوى الخير والجمال والنعو والصفح في عقله يشبه قلبه على الدوام حدائق الجنة. فلا يمكن على الإطلاق أن تتوقع من مثل هذا الشخص أن يتحول فجأة إلى سارق أو إلى قاطع طريق أو إلى زانٍ أو إلى قاتل أو إلى سكير أو مدمن مخدرات أو إلى شخص مغرور يستهين بكل أحد ويتنقد كل شيء. فجميع هذه التصرفات الشائنة تتطلب أفكاراً خاطئة مسبقة، وخطأً شريفة مسبقة. أما الشخص الذي امتلأ فكره ودماغه بأفكار الشر، فأفعاله ستكون صدى لعالمه الداخلي. ولهذا فإن أعمال مثل هذا الإنسان لن تكون أعمال خير ولا يمكن أن تبدو جميلة. وإن بدت فلن تكون كذلك لمدة طويلة قبل أن يصل الإنسان إلى السلام والنظام في عالمه الداخلي".

يخبرنا علم البرمجة العصبية اللغوية Neuro-Linguistic Programming الذي يُعرف بـ (NLP) أن أفكارنا تمدنا بقدره هائلة للسيطرة على سلوكياتنا. لقد بدأ علم البرمجة في السبعينات من القرن الماضي وأخذ في النمو حتى أصبح تخصصاً مُستقلاً له أثره الواضح على بعض المفكرين في ميدان التربية والإدارة والصحة النفسية والجسدية. البرمجة العصبية اللغوية وسيلة عملية تساعد الفرد على تحقيق النجاح من خلال تغيير القناعة السلبية إلى قناعة إيجابية وتنمية المهارات التي تعين على تغيير النفس والتعامل مع الناس وهذه المقاصد بلا شك مُتداخلة مع التربية لأنها تشترك معاً بمفهوم تعديل السلوك. منذ القديم أدرك الأذكىاء أثر الفكر في الواقع فقالوا "عضت رجلاً حية فلم يعلم أنها حية فلم يتغير، فلما أخبر أنها حية مات، لأنه حين أخبر انفتحت مسامه. فوصل السم إلى القلب".

وفيما يلي مجموعة توجيهات لضبط التفكير وتجديد الحياة مع الأم في ظل آداب الصداقة وفي ضوء أغراضها النبيلة:



1- الاعتقاد الجازم بأن الصداقة مع الأم علاقة ثنائية عظيمة يمكن الارتقاء بدرجاتها طول العمر.

2- طرد الجمود والحياة الرتيبة التي تجعلنا ننظر إلى علاقاتنا الأسرية مجرد واجبات وحقوق بعيدة عن الوجدان والشعور والحب. جميع العلاقات الأخوية والزوجية والوظيفية قد تتحول مع الزمن إلى عادات بليدة نقوم بها يوميا بشكل آلي وننزع منها حرارة الحب وتدفق السعادة إذا استسلمت لشبح الروتين والعادة العمياء. نستطيع زيارة الأم بصورة تقليدية جامدة ويمكننا أن نذهب إليها بقلوب مفعمة بالحيوية والنشاط، وروح محبة وسعيدة تغمر من حولنا بالطاقة والتدفق العاطفي....إنها تعتمد على طريقتنا في كيفية أداء الأمور!

3- وضع خطط أسبوعية وشهرية وسنوية لأنفسنا مع تخصيص حيز واضح لصيانة العلاقة الوطيدة مع الأم في ظل الاستفادة من فضائل الصداقة.

4- تذكري أن النعم تدوم بالشكر واغتني فرصة حياتها واتركي الغم والجفوة والكسل والتسويف فالحياة لحظات تنتهي بسرعة ولا فائدة من القطيعة أو الحياة الجامدة. تقول عائشة التيمورية وهي تراثي ابنتها التي أحببتها حبا جما:

قد كنتُ لا أرضي التباعدَ برهَةً      كيف التصبُّرُ والبعدُ دهورُ

1- "بر صغير دائم أفضل من بر كبير لا يكون إلا من حين لآخر." (كولن، 2011م).

2- اطلبي من والدتك أن تعلمك طريقة إعداد طبق من الطعام تجيده وتعتقدين أنه أطيب مذاقا وألذ طعما. طعام الأم له نكهة لا تعادلها نكهة، أخبريها بذلك وأثني خيرا عليها وعلى إبداعاتها.

3- حماية عقولنا من الفكر التغريبي الذي يروج أو يوحي بأفكار تحررية تغالي في الحياة الفردية وتنادي بالانفصال عن منزل الوالدة وتطالب بصورة مفرطة في الحياة المستقلة وذلك بمجرد دخول مرحلة المراهقة أو مع الحصول على وظيفة. تصور بعض وسائل الإعلام الشابات بأنهن يلهثن خلف العلاقات المشبوهة والتجارب والمغامرات أو على الأقل تصور الفتاة السعيدة هي التي تقلل علاقاتها مع أمها وتأخذ خط العزلة الشعورية عن الأهل وتفتح صفحات العلاقات مع الجنس الآخر عبر الهاتف وغيره. الصحيح أن ذلك سراب وخراب وخير طريقة لصد تهديد هذه الأفكار التهدمية أن تقوي البنت علاقتها

بوالدتها، وتضع آليات كفيلة بذلك وتفند عملياً فكرة الحياة المستقلة على نحو خاطئ فهي فكرة ظاهرها الخير وباطنها الشر.

4- جددى نفسك عبر تقبل النقد الصحيح لا سيما إذا جاء من والدتك. قال محمد فتح الله كولن "يجب أن يكون النقد الصادر من الذين نحبهم ونثق في حبهم لنا أحب شيء عندنا، وإلا فإن الإنسان علاوة على فقدته العديد من أصدقائه يبقى جاهلاً بالكثير من نواقصه، ومحروماً من إمكانية تعديلها." وقال عمر رضي الله عنه: رحم الله من أهدى إلى عيوي.

5- عليك بالاطلاع على كتاب واحد على الأقل في موضوع العلاقات الإنسانية أو التواصل الأسري. القراءة والمطالعة والمعرفة من أهم أغذية الفكر والروح.

6- تشجيع التفكير في آليات تزيد من أواصر الصداقة بينك وبين والدتك ويمكن استخدام العصف الذهني أو البحث في الإنترنت أو خبرات وقصص الآخرين الموثوقة في الكتب والمجلات ويمكن أيضاً الاستعانة بالصدقات في مناقشة هذه القضايا كي تأخذ الصدارة في المنتديات الشبابية. إعمال الفكر فريضة دينية وضرورة عصرية ومن الجميل استخدامه في صيانة مصالح الصداقة الأسرية وتطويرها.

7- تحديد العراقيل التي تهدد علاقات الصداقة ووضع الحلول لها. ليس هناك إكسير سحري يصلح لحل كل مشكلاتنا ولكننا يجب أن نتدرج في معالجتها وننوع وسائلنا.

8- هناك وسائل كثيرة لتربية العقل كي يبصر الحقائق ويرتقي ولا ريب أن العبادة خير وسيلة للتربية العقلية ولتقوية نواحي الخير والجمال والصدق. العبادة تغسل أرواحنا وتقوي عزائمنا لتعرج إلى سماء الصواب ولتتجه نحو مدارج العطاء والتواصل. جددى إيمانك بالآذكار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ؟» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بِقَوْلٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». قال علمائنا "فإن المداومة عليها تجدد الإيمان في القلب وتملأه نوراً وتزيده يقيناً وتفتح له أسراراً يدركها أهل البصائر ولا ينكرها إلا كل ملحد جائر". القلب موطن الحب والصدق والجمال والعدل والصداقة وكلما كان صافياً كان متيقظاً يراعي الحقوق ويغض العقوق.

9- مشاركة البنت لبعض هوايات الأم خير وسيلة للتقارب العقلي وإزالة الحواجز الفكرية والنفسية. من أبسط الأنشطة إعادة تنظيم ألبوم صور العائلة وتذكر الخبرات الجميلة فهي وسيلة ذكية للتواصل الاجتماعي.

10- تطوير المهارات النقدية والتحليلية للرد على شبهة أن هناك فجوة بين جيل الأمهات وجيل البنات. يزعم البعض أن الذهنية الماضوية لا تلقي في ساحة الصداقة مع الأفكار العصرية ولا يمكن أن يصادق الجيل القديم الجيل الجديد بثقافته وهمومه وأحلامه وذلك لبعده الفارق. ليس كل ما هو عصري صواب، وليس كل ما ارتبط بالماضي مصدر رية وشك. البنت الحصيفة تملك عقلا تمحص من خلاله ذلك بروية وأناة.

11- الاطلاع على قصص الناجحين والإفادة منها في تكوين صداقة أسرية مجدية ومتجددة. تزداد المحبة بالتواصل وتشتد الأواصر بالمشاركة فكذلك استماع قصص النجاح وحكايات التفوق تهبنا الدافعية للإنجاز ومزاولة المنشط النافع، وتنشيط لمن يريد اللحاق بهم. فالحكايات من أحسن السبل لفهم الناشئة لإشكالات الحياة وتعقيدها وعلاقتها الإنسانية.

12- التخطيط لاستغلال الأفرح والمناسبات الاجتماعية السارة واصطحاب الوالدة فالخبرات السعيدة تجدد النفوس بالنشاط، وتبدد عن العلاقات سموم السأم والملل.

### سوء التفاهم مع الأم

الإنسان مدني بالطبع، وبيان هذا أنه لا بد له من الإعانة، والاستعانة، لأنه لا يكمل وحده لجميع مصالحه، ولا يستقل بجميع حوائجه، وهذا ظاهر، وإذا كان مدنياً بالطبع فإنه يقوم بالأخذ، والعطاء، والمجاورة والمحاورة، والمخالطة والمعاشرة (التوحيدى، 2007م، ص 227، بتصرف). يهدد سوء التفاهم روح التعايش وقد يدفع إلى السير في مسالك الصدام والانقسام والتضاد. من هنا كان على الإنسان أن يتحدث بأصدق لسان وأحسن بيان ليحصل مراده ويتجنب التجاذبات الاجتماعية الناجمة من سوء الإدراك.

تحتاج البنت إلى الإمام بشطر من ثقافة الأمهات لتشق طريقا لجلسات ممتعة تنتعش فيها مشاعر التفاهم وتقارب وجهات النظر في المسائل الكبرى. الموضوعات الأكثر تداولاً بين الصديقات هي المتصلة بالعلاقات الاجتماعية والأطفال والموضوعات المتعلقة بصحة النساء والعمل وحياة الصديقات الأخريات وآخر صيحات الموضة (هاينز، 2009م، ص 43). هذه الموضوعات وغيرها يمكن أن تكون مدخلا للبنت لفتح حوارات مع الأم فالأمهات لا يرغبن في التحدث عن موضوعات متمركزة حول قضايا البنات فقط ودراساتهن والصرعات الجديدة الخاصة بهن. كلما تنوعت مواضيع الحوار زادت فرص الآخرين في فهم ومشاركة ومحاورة الطرف الآخر.

من المهم إدراك الأسباب التي تجعل أملك لا تفهمك. "يمكن أن تكون أملك في الحياة رفيقة تثقين فيها، أو شوكة تنغص عليك حياتك، أو قاضيا جائرا، أو رئيسا في العمل لا تنتهي مطالبه، أو مستشارة لك ذات ذوق رفيع في الموضة، أو صديقة حكيمة... فأنت ساحرة، وصامتة، ودائمة الشكوى، وغاضبة. فكيف لشخص أن يكون جزء من حياتك في لحظة ما وغريب عنك في اللحظة التي تليها؟ كيف يُعقل أن المرأة - التي أنجبتك، وأطعمتك، وتولت رعايتك وتنشئتك وقضت معك معظم فترات حياتك أكثر من أي شخص آخر - لا تعرفك مطلقا. ومن الإنصاف أن نقول إن أكثر المواجهات المشحونة بالعواطف هي تلك التي تكون بين الأم وابنتها. ويعتبر سن المراهقة الوقت الذي تقترن فيه تلك المواجهات بقدر من التحدي أكثر من أي وقت آخر" (موقع كلام بنات: beinggirl-kalambanat.com).

رغم أن الأصل التأدب مع مقام الأم في كل الأحوال إلا أن الاحتكاك اليومي أحيانا قد سببا لمشكلات يمكن علاجها. يمكن الوقاية من كثير من سوء الفهم بين البنات وأمهاهن وذلك بتطبيق مجموعة مهارات تصون علاقاتنا الاجتماعية من التفكك أو الضعف والبرود. وهكذا يتعرض صفو الأُنس والوداد بين الأم وابنتها من حين لآخر بفعل سوء فهم وهذا أمر طبيعي قد ينشأ من إمكانياتنا القاصرة واجتهاداتنا البشرية المعرضة بالضرورة للاضطراب أحيانا.

فإذا كنت متضايقة من شخص ما يكون لديك الحق في أن تعبري عن مضايقتك ولكن أيضا عليك بتحمل مسؤولية الاستماع إلى ما يقوله الطرف الآخر. وهكذا توجد فرصة للتصالح أو التسوية. لكن عليك أن تحذري من الحديث لفترة طويلة دون أن تدعي الفرصة للاستماع إلى الطرف الآخر (ماكجينيس، 2007م، ص 196). وقد تقسو الأم أحيانا على ابنتها وقد تتعرض علاقتهما للجفاء فدور الابنة الصبر والاحتساب والتقرب إلي والدتها فتزِيل الشبهات، واللين في هذا المقام خير دواء وأفضل وسيلة لبسط الصفاء بين الأصدقاء لهذا قالوا "لِنْ لِمَنْ يَجْفُو، فَقَلَّ مِنْ يَصْفُو" (التوحيدى، 2007م، ص 45).

الحرص على تحقيق قدر أكبر من التفاهم الأسري يضمن التضامن بين جيل الكبار والصغار ويصبح الاختلاف بينهم اختلاف تنوع وهو اختلاف محمود. من الظلم أن نحكم على أمهاتنا بأنهن لا يفهمن الجديد. "تقول نورا: أنا لا أتمرد على أهلي ولا على الحياة السابقة التي كانوا يعيشونها لكن هم أنفسهم تطوروا معنا وأصبحوا يتأقلمون مع حياتنا، فأنا أجد أن أهلي هم الذين تغيروا وأصبحوا يواكبون الحياة معنا، بدلا من الصراعات التي تأتي من ورائها المشاكل والزعل، فأنا أشعر أن أهلي مثل أصدقائي وأمي تضحك معنا وكأنها من نفس جيلنا وأكد هذا ذكاء وحكمة منها" (محمد، 2011م، ص 22). هذا التغير الحميد لا يحدث من طرف واحد فلا بد من تقريب المسافات وتسديد الخلل وتقليص الفوارق من الجميع.

من الخطأ أن نلوم طرفاً ونتهم الأمهات بالجهل لأن هذه حيلة دفاعية تهدف إلى تبرير القطيعة أو إقرار الجفوة والفجوة بين الطرفين. تقول إحدى الفتيات في طفولتي لم تكن والدتي تشكو مني بل كثيراً ما كنت أسمعها تمتدح أدبي ومعاملتي للآخرين، ولكن عندما كبرت ظهر الخلاف بيني وبينها فعندما أرغب في أن يكون شعري وتزيينه وترتيبه بشكل معين ترفض أي تسريحة جديدة مع أنها أصبحت موضة شائعة بين زميلاتي، وعندما أختار ملابسني تكون معركة واليوم تصرخ أمني لا تجلسي هكذا، ولا تتحدثي هكذا حتى أصبحت الأوامر كثيرة جداً. إنها لا تتفهم طبيعة سني ومشاعري ورغم أنني أحاول الوصول معها لحل وسط إلا أن الأمر دائماً ينتهي بعقابي لذلك أشعر غالباً أن الذين من حولي لا يفهموني (محمد، 2011م، ص 22). الأمهات يلقين اللوم على البنات وتمردهن فهن السبب.... والصحيح أن الخلاف أمر طبيعي ولكن يجب تخطيه عبر فتح حوارات أكثر عقلانية وتقدير مشاعر الطرف الآخر والموازنة بين الحرية الشخصية للبنات وتوجهات الأمهات على ضوء المرونة في اتخاذ القرارات والابتعاد عن الأفكار المسبقة والتقاليد المتشددة والتفكير المستبد والأناي.

جات إلينا فتاة تطلب استشارة تربوية فقالت لنا: إن أمهي تراقبني بصورة بوليسية استفزازية لدرجة أنها تضيق ذرعاً ويجن جنونها إذا رأني أغلق باب غرفتي على نفسي فهي تريده دائماً مفتوحاً. قلنا لها: أمك تحبك وتريد الخير لك وعنادك زاد الأمر سوءاً كما تقولين وننصحك بأن تتعبدى الله سبحانه بالصبر على تصرفاتها وتغييرها بالحسنى وبالتدرج وبناء علاقات أكثر تفهماً. وبعد محاولات متعددة وفشل يتلوه فشل نجحت الفتاة في تكوين علاقة أكثر استقراراً مع أمها ونجحت في تقليص المراقبة المفرطة وأخذت علاقتها بالتحسن بعد أن كانت علاقة تصادمية حدية عنادية. لم تكن المشكلة مشكلة إغلاق باب الغرفة بل كان ذلك عرضاً لمرض العلاقات بينهما وضعفها الشديد بسبب نقص الثقة والحماية الزائدة.

ولكي نحمي كيان وبنیان الصداقة فعلينا الابتعاد عن الجدل فإن يدمر العلاقات ويورث العداوات. يقول محمد فتح الله كولن "الشخص الذي يكثر نزاعه ونقاشه مع المحيطين به يقل أصدقاؤه. ومن أراد زيادة أصدقاؤه ورغب في أصدقاء أوفياء، عليه الابتعاد عن الدخول معهم في نقاشات لا طائل منها". وعليه لا تحكمني على الأمور قبل استكمال فهم جميع أركانها وعواقبها المتوقعة. قال جبران خليل جبران "نصف ما أقوله لك لا معنى له، ولكنني أقوله ليطمئن معنى النصف الآخر". "أنت أعمى، وأنا أصم أبكم، إذن ضع يدك بيدي فيدرك أحداً الآخر". اقبل لأحدهم أي شيء أمتع؟ قال: مازحة محب، ومحادثة صديق (التوحيدى، 2007م، ص 163) ولا يتحقق ذلك إلا بالبعد عن الجدل.

فهم الآخر غاية لا تتحقق إلا بحسن الظن ودقة اختيار الكلمات والوقت ولكي يكون الإنسان حاذقاً صادقاً فعليه بالتجرد والموضوعية وتوظيف المشاعر الطيبة لا للانتصار في المواقف بل لاتباع الصواب. كان الشافعي يكلم الناس على سبيل النصيحة، ومن أقواله: ما ناظرت أحداً قط، فأحببت أن يخطئ، وما كلمت أحداً قط، إلا ولم أبال بين الله، الحق على لساني أو لسانه. هذه العقلية الجسورة تبني جسور التواصل الاجتماعي وتصنع شخصية واعية متزنة تجعل التفاهم ممكناً ميسراً، والحوار سمحاً هادفاً. الفشل في التفاهم يرجع غالباً إلى الافتقار للأخلاقيات والمشاعر والنيات والسلوكيات الطيبة التي تنظم وتهيمن على حركاتنا. وعلى ضوء تلك المعايير الدقيقة الملموسة فلننظر إلى الإخفاقات الأسرية، والتجاذبات المذهبية، والمشاحنات السياسية والنزاعات الاجتماعية الناشئة عن سوء الفهم التي تقع في واقعنا وتكبل إمكاناتنا في التواصل الاجتماعي، والتفاعل الإيجابي لتحقيق مطالب الحياة.

تتمتع الفتاة اليوم بنصيب وافر من الفرص التي تفتح لها مجالات الثقافة فعليها استثمارها وتنمية شخصيتها على ضوء الحكمة وبالفكر الثاقب يُدرك الرأي الصائب. ولعل الاطلاع على سيرة الحكماء وسيلة رائعة لتنقيح منطقنا وتحسين سلوكنا وتصفية نفوسنا. قال أرسطو: بالعقول تتفاضل الناس لا بالأصول، والحكمة رأس العلوم، وبلين الكلم تدوم المودة في الصدور، وبخفض الجناح تتم الأمور، وبسعة الأخلاق يطيب العيش ويكمل السرور، وبإصابة المنطق يعظم القدر ويرتقي الشرف، وبالإلصاق يتوجب التواصل، وبالتواضع تكثر المحبة، وبالعفاف تزكو الأعمال، وبالرفق تستخدم القلوب، وبالوفاء يدوم الإخاء، وبالصدق يتم الفضل. الارتقاء إلى السؤدد صعب، والانحطاط إلى الدناءة سهل. صديق الملول زائل عنه، السيء الخلق مخاطر صاحبه، البخيل ذليل وإن كان غنياً، والجواد عزيز وإن كان مقلماً، الطمع هو الفقر الحاضر، لا أدري نصف العلم، السرعة في الجواب توجب العثار، التزوي في الأمور يبعث على البصائر، الرياضة تشحذ القريحة، الأدب يغني عن الحساب.

### التشاور طريقك لصداقة أمك

يشغل الشورى حيزاً مهماً من مساحة الفكر الإسلامي ويمكن توظيف هذا المفهوم الاجتماعي والسياسي في تعزيز المنظومة الأسرية. تستطيع البنت الرجوع إلى والدتها وأخذ الاستشارات منها في الجوانب التي تجيدها الأم وتحسن التوجيه فيها. هذا المسلك يكفي لاستقطاب عقل الأم وقلبها معاً نحو الجلوس معك واستمالتها إليك. وقبل هذا يجب عليك إدراك أهمية الشورى في بناء الشخصية الرشيدة ودورها في تعميق الصلات الاجتماعية. إن البيت هو موطن الشورى ولن تنضج تجربة الشورى في المجتمع إذا لم تستوي على عودها في البيت. التشاور سلوك حضاري يبدأ في الأسرة ويتغلغل في النفوس وجنات

الأسرة ثم ينتشر ويزهر في كيان المجتمع بأسره. الفكر المنغلق هو فكر معرض للزلل أكثر من غيره ونتائجه وخيمة، وهو فكر مغلف بالغموض وتحركه الأنانية ولا يحترم أفكار الآخرين ولا يأمن بالمشاركة ولا ينتفع من التشاور الذي من شأنه أن يحسن خياراتنا اليومية وقراراتنا المهمة.

من أهم ملامح شخصية الابنة الحكيمة الاستعانة بالشورى كلما أشكل عليها أمر لتدرك المصلحة وتتجنب المفسدة فلا تتخذ البنت القرارات إلا وهي مبنية على رؤية وافية واستشارة كافية. قال تعالى { وَأْمُرْهُمْ شُورَى } (الشورى: 38). "عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالضَّحَّاكِ قَالَا: مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِالْمُشَاوَرَةِ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى رَأْيِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ مَا فِي الْمُشَاوَرَةِ مِنَ الْفَضْلِ، وَلِتَقْتَدِيَ بِهِ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ". وفي الحديث "ما حَابَ مَنْ اسْتَشَارَ، وما نَدِمَ مَنْ اسْتَحَارَ" فإذا إذا تكلم المستشار فعليه أداء أمانة النصيحة على أكمل وجه. قال العلماء: الْمُشَاوَرَةُ هِيَ الْاجْتِمَاعُ عَلَى الْأَمْرِ لِيَسْتَشِيرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ وَيَسْتَخْرِجَ مَا عِنْدَهُ. والشورى بركة والشورى مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ وَعَزَائِمِ الْأَحْكَامِ. شَاوَرٌ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ؛ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ غَالِيًا وَأَنْتَ تَأْخُذُهُ مَجَانًا. الشُّورَى أُلْفَةٌ لِلْجَمَاعَةِ، وَمِسْبَابٌ لِلْعُقُولِ، وَسَبَبٌ إِلَى الصَّوَابِ، وَمَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا. وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً واداً في [مصلحة] المستشار. قال الشاعر:

شَاوَرٌ صَدِيقٌ فِي الْخَفِيِّ الْمَشْكِـلِ      وَأَقْبَلُ نَصِيحَةَ نَاصِحٍ مُتَفَضِّلِ  
فَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى بِذَلِكَ نَبِيِّهُ      فِي قَوْلِهِ : ( شَاوَرُهُمْ ) وَ ( تَوَكَّلْ )

وقال آخر:

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ      بِرَأْيِ لَيْبٍ أَوْ مَشُورَةِ حَازِمِ  
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً      فَإِنَّ الْخَوَافِي نَافِعٌ لِلْقَوَادِمِ

يفيض تراثنا العربي بجوامع الكلم عن الشورى كقولهم: إذا استخار العبد ربه، واستشار صديقه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله في أمره ما أحب. ومن استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه، وعليك بالمشورة، ولا تستبد بتديريك ولا تستخف بأميرك فمن استبد بتدييره زل، ومن استخف بأميره ذل، ومن شاور الأخلاء أمن من كيد الأعداء. لا تشكو مرضك إلا لطبيبك، ولا تشكو دهرك إلا لصديقك. من أهم فوائد التشاور التواصل الفاعل مع الآخرين، وتوقير مكائهم، والاستنارة العقلية،

والراحة القلبية علاوة على تعليم النفس التواضع. التشاور من موجبات الصداقة الحسنة ومن المفردات الاجتماعية المحورية. وللشوري ميادين عديدة يمكن للبنات أن تطرقها بصحبة والدتها من مثل:

- 1- أخذ المشورة من الأم في توسيع ثقافتك وتوجيهك نحو أهم الكتب والمجلات والمصادر المتوفرة في مكتبة المنزل أو المكتبات العامة.
- 2- الإفادة من الأم في حل المشكلات الاجتماعية والنفسية والتعليمية.
- 3- طلب رأي الأم في القضايا المجتمعية أو العلمية التي يمكن اختيارها لعمل الأبحاث والأنشطة المدرسية أو الجامعية.
- 4- معرفة الآداب الاجتماعية وفعل ما ينبغي في المواقف الجديدة.
- 5- أخذ رأي الأم ببعض الفساتين والحلي التي تريدين لبسها.
- 6- استشارات الأم في تطوير بعض مهارات الطبخ وفن إعداد مائدة الطعام.
- 7- استشارة الأم في أسس اختيار الصديقات ودرجة التواصل معهن.
- 8- استشارة الأم في قضايا تربية الأبناء وحل مشكلاتهم.
- 9- الرجوع للأم وطلب نصحتها إذا شعرت البنات بالتقصير في أداء الفرائض الدينية.
- 10- معرفة طرق حل مشكلاتها المدرسية أو الجامعية أو في جهة العمل.
- 11- استشارة الوالدة في بعض القضايا المهمة في حياة البنات الزوجية.
- 12- قبل البدء في الأمور المهمة استنيري برأي والدتك فإن ذلك يدل على سعة عقلك وصدق ارتباطك بأهلك.

العاقل لا يرى عن الاستشارة بديلا، ولا يندم من شاوور أبدا. ولكن هذا الخلق الكريم لا يعني الأخذ حرفيا بما تقوله الأم بل المهم الانتفاع بالإرشاد عمليا، والرجوع إلي آراء الآخرين في بعض الأمور عبر آلية إمعان الفكر، وتقليب الرأي، وترجيح الخط الأصح من وجهة نظرك. الإمعة هو الشخص الذي ذابت شخصيته فلا يتحمل مسؤولية رأيه، فيتابع كل واحد على رأيه خشية أو خجلا من معارضته. الشخصية الرشيدة تستفيد من آراء الآخرين كل حسب تخصصه ثم تنتقي الأنسب لها ولظروفها استنادا لاجتهادها الحر القائم على تحمل المسؤولية مع تزجية الشكر لكل من قدم المشورة. وهكذا تصبح الاستشارة استنارة تجعلك بحق فتاة مؤهلة ومرشحة للسير للأمام باستمرار وبجانبك أمك التي تحمل بين جبينها روح المستشار، وحرص الصديقة، وقوة القرابة.



## الشفافية مع الأم

الصراحة مع الأم من مصادر الصحة النفسية، وانسراح الصدر، واسترخاء الفكر، وتعميق التفاهم، وتيسير التعاون. ومن مقتضى الشفافية مع الأم أخذ رأيها في الأمور المهمة ومناجاةها لبث الهموم بحثاً عن راحة البال. الصراحة تولد المودة والصدقة والثقة وفي تراثنا العربي نعثر على عبارة لأحد المعلمين يقول فيها "المودة هي الأصل، والصدقة هي الركن، والثقة هي الأساس، وما عدا ذلك فمحمول عليه، ومردود إليه" (التوحيدي، 2007، ص 137). الإخلاص والصراحة والصدق والأوبة من مستلزمات رأب تصدع الشمل الأسري.

تحتاج الفتاة أحياناً إلى البوح ببعض أسرارها والسر إذا خرج من أسوار البيت ليس سرا وإن كان الصديق مقرباً. الأم مستودع الأسرار نبث لها خصوصياتنا فترتاح نفوسنا أما إفشاء الأسرار لمن هب ودب فإنه يجز الويلات وكما قالوا "سرك أسيرك، فإن أفشيتك كنت أسيره." الذي لا يبث همومه وأحزانه تتفاهم مشاكله وتتصاعد مصاعبه والأم خير مستودع لأسرارنا وهمومنا. قال الشاعر:

فإنَّ سكوتَ المرءِ عن بثِّ دأئه      مضرٌّ به مثلُ السكوتِ على الظمأ

"الصدقة الأسرية أجمل ما يوطد العلاقة ويتيح للشفافية الدخول إلى أدق جوانبها. في مراحل كثيرة تحدث تغيرات عاطفية لدى الأبناء تتكون منها ذروة من المشاعر مع تغيرات ملحوظة في التصرفات، حيث يصبحون أكثر حساسية وغموضاً، نظراً إلى التغيرات الهرمونية والفيزيولوجية التي ما تطراً غالباً في فترات عمرية معينة، ففي "هذه المراحل يحتاج الأبناء إلى عطاء عاطفي وتضحيات. عندما يصل الوالدان إلى مرحلة الصراحة التامة مع أبنائهم ستجتاز الأسرة كثيراً من الصعوبات التربوية باختصار المسافات الفكرية والنفسية، ما يعني الوصول إلى معنى الصداقة الحقيقية التي لو تواجدت في الكثير من الأسر لتقلصت كثيراً المسافات الفكرية بين الأجيال، ولكن حدوث الاختلافات المتكررة وعدم وجود سياسة للتفاهم والحب هو ما يورق الكثير من الأسر ويهدم قوتها ويشنت العواطف" (السقاف، 2009م). أشار سلمان العودة إلى أن هناك من "يخجل من مصارحة البنات وتوعيتها بنفسيتها وعاطفتها واحتياجات جسدها ووجدانها؛ خوفاً عليها، وكان يجب أن ندرك أنه لا شيء أضر ولا أذى للخوف على الفتاة من الجهل بتكوينها الفسيولوجي والنفسية، حتى إن الفتاة الجاهلة ربما ضربها الحب على غفلة، فلا تحسن التعامل، أو تظن بأهلها سوءاً، فتجافيههم ولا تُصارحهم، على أن مصارحة الأم الواعية الحنون ومشورتها من أَلطفِ أبواب النجاة. الحب ليس خطأ، والأهم ألا يتحوّل إلى خطأ... عليك بالباب الواسع المباح، وإياك والشبايبك!" (باختصار).

الاعتصام بمصارحة الأم ومفارقة الحرام هو الباب المفتوح المرحب به على الدوام لكل ابنة كبحت شهواتها، وتحكمت بإرادتها، ونظمت حياتها، والله غني وباب الحلال أوسع وغنائمه أطيب.

يبحث المتخصصون بالصدقة على فتح باب الشفافية مع الأم. اكتشفي أيها الابنة الحبيبة أفضل ما في سلوكيات والدتك وارفعي سقف الإنجاز في التعامل معها وسوف ترين بعون الله ما يسرك. عندما تسمعين والدتك مصادفة وهي تخبر والدك بأنها واثقة من أنك تصدقها القول دائما تشعرين بغاية الفرح لأنك كسبت صداقتها بصدقك. هذا الشعور سيجعلك تودين أن تبدي دائما قصارى جهدك لكي تصبحي دائما تلك الفتاة المرحمة الطريفة. من هنا ستكونين حتما أكثر إصرارا على تأكيد هذه النظرة لدى والدتك بإخبارها دائما بالحقيقة كاملة ولا شيء غير الحقيقة (كارنيجي، 2010م، ص 157). تحري الصدق هو الذي جعل لفظ الصديق ملازما لسيدنا يوسف عليه السلام ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه، أول الخلفاء الراشدين، والباب مفتوح لمن يريد أن يسير مع قافلة الصديقين.

سئل أحد علماء اللغة: مم أخذ لفظ الصديق؟ قال أخذ بنظر من الصدق، وهو خلاف الكذب... الصديق يصدق إذا قال، ويكون صدقاً إذا عمل، وصدقة المرأة وصادقها وصدقها كله منتزع من الصدق، وكذلك الصادق، والصديق، والصدوق والصدقة، والمتصدق والمصدق، كل هذا متواخ (أي من نفس مادة الكلمة). ميز بعض العلماء في معاني وصفات الصداقة فقول: الرفيق؟ أنت غاية شغله، وأؤكد فرضه ونفله. والشفيق من إن دهمتك محنة قذيت عينه لك، وإن شملتك منحة قرت عينه بك. والوافي من يحكي بلفظه كمالك، ويرعى بلحظه جمالك. والصاحب من إن غاب تشوفت إليه الأحباب، وإن حضر تلقحت به الألباب (انظر التوحيد، 2007م، ص 124، 127، بتصرف).

الصراحة والشفافية مع الأم من ثمرات الصداقة الأسرية. كيف نصادق أمهاتنا؟

- تعاملي معها كفرد عزيز وليس مجرد أم رؤوم.
- تعاملي معها بنفس الاحترام الذي تبدينه لجميع أصدقائك ومزيد من المشاعر السامية.
- احرصي على التخطيط لنزهات معها.
- استمعي إلى وجهات نظرها ودعيها تعبر عن مكنوناتها وإياك والضجر فإنه يسبب انتكاسة العلاقات وانتقاص لقيمة الصداقة.
- تعاملي معها بوضوح وصراحة وأمانة وشفافية.

• احرصى على حسن علاقتك بها.

• أشركيها في حياتك (هاينز, 2009م، ص 171).

• الابنة العاقلة الرزينة عندها قدرة على إثارة الحوارات الهادفة وإدارة النقاشات الممتعة كوسيلة عملية ثمينة لا تكلف شيئاً وتجعلك أقرب لإدراك والدتك وانطباعاتها وتطلعاتها وآلامها وآمالها.

والأسئلة السديدة بين الأقارب تفتح أعيننا على أمور نؤديها تقليداً من دون إعمال للذهن. الحوارات الأسرية فرصة ثمينة لتجديد ثقافتنا الشخصية وبناء ممارسات جديدة. يحكى أن امرأة تجيد الطبخ أرادت أن تعلم صديقتها كيف تطبخ السمك بطريقة تقليدية اعتادت عليها عائلتها منذ زمن بعيد. قطعت الأم أولاً رأس السمكة وذيلها قبل طبخها وهنا جرى الحوار التالي بين المرأة وصديقتها: قالت الصديقة: لم قطعت رأس وذيل السمكة. قالت المرأة: لا أعلم هكذا تعلمت من أمي. قالت الصديقة: لم لا نسأل أمك كي تكشف لنا سبب هذا الفعل؟ اتصلت المرأة بأمها فأخبرتها فقالت لا أعرف دعيني أسأل أمي ... كانت إجابة الجدة بكل بساطة: لأن مقلاقي كانت صغيرة والسمكة كبيرة عليها!!

### ممارسات خاطئة

وردت في السنة النبوية قصة جريج بأحسن بيان، وأصدق لسان وهي تدل على خطورة إهمال رعاية الأم تحذر من الانشغال عنها مهما كانت الأسباب. ورد في الحديث "وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ أُجِيبُهَا أَوْ أَصَلِّي فَقَالَتْ [الأم] اللَّهُمَّ لَا تُمْنِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجُوهَ الْمُؤْمِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَتْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ قَالَ الرَّاعِي قَالُوا نَبِيِّ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ" (رواه البخاري). نجد في قصة جريج العابد مع أمه فكرة أساسية وهي فضل العلم وأهميته فالعالم خير من العابد لأن نفع الشخص المتعلم يصل الناس ويوسع عليهم ويرشدهم إلى الصلاح في كل عصر وعلى الأخص في ساعات العسر وهذا يصونه من التقصير في حق الأقرباء. معاشرتنا الناس على أساس العلم الصحيح يجنب الفرد الزلل ويحقق له حسن التواصل لأنه عرف الحقوق والواجبات، وأدرك حدود وفقه الأولويات في التعامل وأن النفع المتعدي (صلة الرحم) خير من النفع القاصر (الانغماس في أداء النوافل على

حساب أداء الواجبات الأسرية). ولعل البر بالوالدين من أبرز علامات العناية بالعلاقات الأسرية في الحديث النبوي وكما جاء في روايات قصة جريج " لَوْ كَانَ جُرَيْجٌ فَقِيهًا لَأَجَابَ أُمَّهُ " و"لو كان جريج فقيها لعلم أن إجابة أمه أولى من عبادة ربه".

فقه النفس أساس القدرة الذهنية الملهمة للفرد في عملية فهم أولويات الحياة والتوافق والتآلف الجيد مع الآخرين وكسب تعاونهم وهذا كله مقوم حيوي في الذكاء الاجتماعي. هذه القصة النبوية تحت الناشئة وغيرهم على العناية بطلب العلم كي نبر والدينا على بصيرة. قال علمائنا "التفقه في زمن الشبيبة وإقبال العمر والتمكن منه بقلّة الأشغال وكمال الذهن وراحة القريحة يرسخ في القلب، ويثبت، ويتمكن ويستحكم، فيحصل الانتفاع به والبركة إذا صحبه من الله حسن التوفيق".

### الشدائد تصفي الصداقات وتنقيها

قالت الأم: عندما أُصبتُ بسرطان الثدي في عام 2009م كان الابتلاء عظيمًا لكنني استطعت بحمد الله أن اجتاز المحنة وكانت ابنتي خير صديقة لي وزادت الشدائد قوة صداقتنا.

يمر الإنسان عادة بتحديات ومشقات مفاجئة يحتاج فيها إلى صديق يفضي إليه أحزانه وصديق يشعر بأحاسيسه، ويصبره، وييسره، وإلا أصبحت الصداقة عديمة الجدوى. الابنة العظوفة الرؤوفة خير عدة في النوائب لا تفارق والدتها لا سيما ساعة الشدة وتمدها بحبال الصبر، والاحتساب، ومضاء العزيمة، وتقدم كل ما تملك من وقت ومال وحكمة لتخفيف شدة المشكلة، وتفريج الكربة. الشدائد مهما كانت عاتية لا تسلب الإنسان السعادة إلا عندما يقبل التنازل عنها. هذه الفلسفة الإيجابية تجعلنا نواجه الشدائد اليومية بصف مرصوص يعضد الروابط الإنسانية وقلوب راضية بقضاء الله وقدره. وهكذا يعيش الصالحون سعداء في حياتهم لأنهم عرفوا سر السعادة التي تسكن بشاشتها القلوب ولا تستطيع الشدائد نزعها، هؤلاء هم أطيب الناس عيشًا، وأحسنهم خلقًا.

البنات الصديقة لأمرها ذات عاطفة متوهجة، وعقل رصين تشرح الصدر بكلماتها عن خلق الصبر وحسن العاقبة ولا تزيد نيران الأحزان لأن الجزع عند المصيبة، مصيبة أخرى ( **The panic from a catastrophe is another catastrophe**). إن فن تهدئة الأعصاب في الأزمات خلق كريم يضيء سماء الصداقة. الغم سجن نفسي يسجن فيه الإنسان نفسه بمحض إرادته عندما يمر بمرحلة حياتية عصبية في حين أن قوة الإيمان تحمي القلوب من طغيان الأحزان، وطوفان الأشجان. البنات الذكيات تفتح نوافذ الرجاء ولا تغلق منافذها إذا اشتعلت الشدائد. كلنا بحاجة إلى التذكير بأن الإنسان يثاب على كل أوجاعه وهمومه وأحزانه فعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ" (رواه البخاري). وقال:

"عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَّاءُ شَكَرٍ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبْرٍ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ" (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). الصديق العاقل يقف مع صاحبه فيصبره ويحميه من لفحات اليأس وأجواء الضياع والقلق. قال الشاعر

سَوَادُ اللَّيْلِ يَعْقُبُهُ بَيَاضٌ وَهُوجُ الرِّيحِ يَعْقُبُهَا النِّسِيمُ

التحديات تولد لدى المسلم قوة جديدة وحركة موجهة هادفة وحسا ساميا للتغلب على صعوبات الحياة ومصائبها بصلابة فولاذية. هكذا تتحسس التربية الإسلامية حاجات الناس وتقدم مسالك عدة للنهوض بهم وتوجيههم نحو التقدم والارتفاع بأسلوب تعليمي وعبر خطوط الأخوة وعمود القرابة والصدقة كي تصبح الحياة أكثر أماناً وتلزم الفرد بالوقوف إلى أخيه مساندا له يشبته على الصبر الجميل والعمل الجليل. إن فن الرثاء والبكاء نوع من الاستسلام والهزيمة والتبرير عن التقصير في أداء الواجب وحيلة دفاعية لاستمرار الواقع والخضوع له. هذا فن يحسنه كثير من الناس فيعيش الإنسان عصره بمشاعر تعصرها الذكريات الأليمة تحمل ثقل الليالي الخوالي ويكي اليأس على أساء الطويل ويندب بلا ملل حظه العاثر وفي هذا السياق السليبي تقول الشاعرة نازك الملائكة:

هكذا يرحل الريح سريعاً      وتعود الحياة للأحزان  
 وتموت الأمال في كل قلب      وتعيش النفوس للحرمان  
 فكان الحياة لم تبتسم إلا      لتلقي سوادها في رؤانا  
 وكان الزهور لم تنشر الأشـ      ذاء إلا لكي تُثير أسانا

والحق أن الإنسان اليأس يضيع جهداً، ويضيق واسعاً، ويفهم متأخراً، ويشتت جهداً فلا يفيق إلا بعد أن رسخ في أبنائه وبناته لفحة حزن، وغرس في الناشئة مسحة كآبة وتشاؤم بسبب هم المتواصل. كلما تأخر علاج القنوط زاد خطره وعم ضرره. الإنسان الذي يضحك نواب الدهر يندم، والإنسان الذي يصبر ويحتسب يغتم ويتعلم وينعم. صداقة الأم تتطلب منا التمكن من فن التعامل مع مشكلات الحياة وطرق ملازمتها لتخفيف مصابها لا تضخيمها. وصدق الشاعر:

إذا ضيقت أمراً ضاق جداً      وإن هونت ما قد عزّ هانا  
 فلا تهلك لما قد فات غمّاً      فكم شيء تصعب ثم لانا

يعلمنا الحديث النبوي مجموعة أدعية مباركة تعيننا على تجاوز الحزن منها "ما من مسلم تُصيبه مُصيبةٌ، فيقول ما أمره الله: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ اجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْراً مِنْهَا" (رواه مسلم). وعن ابن عباسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" (رواه البخاري). "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ" (رواه البخاري). "اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا" (رواه ابن السني). "وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ" (رواه مسلم).

الصديق الوفي يحبك ويكون بقربك سندا وكما يقول سلمان العودة "لا أريد أن تحدثني في موضوع مهم أو غير مهم يكفي أن تكون بقربي وأن أشم أنفاسك وأتأمل ملامحك لأحس أن روحي المبعثرة تلتئم من جديد".

الشدائد التي تواجه الأم من مرض أو غيره ليست عذرا لإهمال دراستنا أو التهرب من أعمالنا فهذه حيلة دفاعية تضربنا، فلزوجك عليك حقا، ولأبنائك عليك حقا، ولعملك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأمك عليك حقا والتوفيق بين كل ذلك أمر ممكن بعون الله سبحانه.

### الفرق بين الأخلاق والآداب

لماذا تختلف الأذواق ويحصل النزاع أحيانا بين جيل الأمهات وجيل البنات؟ هل تتغير القواعد الأخلاقية من جيل لآخر؟ لماذا تختلف آداب الملبس ونظام التفكير بين البنات وبين معظم الأمهات؟ لماذا تتصادم الأم مع ابنتها في المسائل العصرية؟ هل تتغير الآداب من عصر إلى عصر؟ هل هناك صراع بين الأجيال؟ ما أوجه المقارنة بين الأخلاق والآداب من حيث المعنى والغاية والجزاء؟ ثمة مقاربات تربوية سوف نستعرضها هنا قد تجيب عن بعض تلك الأسئلة الملحة.

لكل عصر وشخص خصائص تميز ثقافته ومنطقه وذوقه، وهناك ثوابت ومتحركات، وهناك أصول وهناك فروع، وهناك القطعي وهناك النسبي. إن القواعد الأخلاقية عموما لا تتغير ولكن الآداب في كثير من فروعها تتأثر بالعصر وتتغير من حين لآخر. آداب الأكل والشرب والملبس تتغير تبعا لثقافة الشعوب، وتنوع الأذواق أما الأخلاق المحمودة كالشجاعة والصدق والأمانة وحسن الصحبة فهي راسخة عبر العصور. ولهذا قال الإمام علي رضي الله عنه "لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم"<sup>1</sup>. هذه العبارة التي تناقلتها الكتب التراثية تصلح كقاعدة لاستشراف المستقبل وإرساء مبدأ المرونة في التنشئة الاجتماعية. إن التربية الإسلامية كانت ولم تنزل منارة مضيئة لكل باحث عن التربية القويمة.

ومن منظور التربية الإسلامية فإن العلم بلا خلق لا قيمة له. ولهذا عظم الإسلام من شأن الأخلاق؛ وفي الحديث "أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ،

<sup>1</sup> ونسب هذا القول أو قريب منه إلى أرسطو حيث قال "لا تتركوا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم" (العالملي، ص 257، ص 425، الشهرستاني، ص 123) وقيل أن أفلاطون قال "لا تجبروا أولادكم على آدابكم فإنهم...".

وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ" (رواه أحمد). وقال الحكماء "حسن الخلق يستر كثيراً من السيئات كما أن سوء الخلق يغطي كثيراً من الحسنات". قال أحمد شوقي:

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوْمُ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمُ

يميز بعض الباحثين بين الأخلاق والآداب. وتحت باب خلوقين وليسوا مؤدبين كتب باحثان في التربية عن الفرق بين الخلق والأدب فقالا "هناك فرق بين أصحاب الخلق من الناس والمؤدبين، فالمؤدب مضبوط بواسطة عوامل خارجية ولكن صاحب الخلق ضبط نفسه من الداخل ونحن نريد أن نصل بأولادنا لأن يكونوا من أصحاب الخلق" (الرشيدي، الجناعي، 2011م، ص 153). إن ما سبق يشكل أرضية خصبة لفهم الناشئة وتوجيههم نحو الفضائل بكافة الوسائل ولاستيعاب التفاوت بين الأجيال.

"فدائرة قواعد الأخلاق هي أوسع من دائرة قواعد الآداب العامة لأن قواعد الآداب تهتم بواجب الفرد نحو المجتمع، في حين تهتم قواعد الأخلاق إضافة إلى ذلك بواجب الفرد نحو نفسه، وهي تهتم بالبواعث والنيات إضافة إلى السلوك المادي الخارجي. إن قواعد الآداب تصدر عن قواعد الأخلاق كما يصدر النهر من ينبوع. ومن حيث الغاية: إن غاية الأخلاق هي الوصول بالإنسان إلى الكمال والسمو النفسي، أما غاية الآداب فهي حماية المجتمع من بعض أنواع السلوك التي يمكن أن تؤدي إلى تفسخه والانحدار به. ومن حيث الجزاء: لا يترتب من حيث الأصل على الخروج على قواعد الأخلاق أي جزاء دنيوي إلا ما ينص عليه القانون، في حين يترتب على الخروج على قواعد الآداب جزاء مدني، وقد يكون هناك عقاب جزائي. والآداب العامة بحكم كونها جزءاً من النظام العام تستمد بعض خصائصها من هذا النظام. فقواعد الآداب العامة قواعد نسبية متغيرة تختلف باختلاف المكان والزمان من مجتمع إلى آخر ومن جيل إلى جيل في المجتمع الواحد. فما يعد مخالفاً للآداب في مجتمع ما، قد لا يكون مخالفاً لها في مجتمع آخر. وما يعد غير مقبول في المجتمع في حقبة زمنية قد يغدو مقبولاً في حقبة لاحقة" (الموسوعة العربية، 2004م، الآداب العامة، بتصرف يسير).

ولقد كان في جيل الصحابة رضي الله عنهم أدب نساء مكة المكرمة حيث المرأة لا تجادل ولا تناقش زوجها، وأدب الأنصار في المدينة المنورة حيث كانت ثقافة النساء في هذا الأمر مختلفا جدا. قال عمر رضي الله عنه "وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ [يتعلمن من نسائهم]، فَصَحْتُ عَلَى امْرَأَتِي، فَرَأَيْتُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي. فَقَالَتْ: وَلِمَ تُنَكِّرِينَ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُرَاجِعُنَّهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ..." (رواه البخاري).

الأخلاق ذات ارتباط أوثق بالدين بينما الآداب مرتبطة أكثر بحركة المجتمع وثقافته. قال غاندي:  
 "إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال، ولا يفترق بعضهما عن بعض، فهما  
 وحدة واحدة لا تتجزأ، إن الدين كالروح للأخلاق، والأخلاق كالجو للروح، وبعبارة أخرى الدين يغذي  
 الأخلاق وينميها وينعشها، كما أن الماء يغذي الزرع وينميه". قال أحمد شوقي:

وليس بعامرٍ نبياً قوم  
 إذا أخلاقهم كانت خراباً

يتجاهل بعض الآباء والأمهات متغيرات الزمن وطوارئه بين ما كانوا عليه أيام الشباب وما عليه  
 أبناؤهم الآن كما يقول سلمان العودة؛ "يريدون منهم أن يأكلوا ويشربوا ويلبسوا أو يتصرفوا كما كان  
 آباؤهم يفعلون حين كانوا في مثل سنهم. فثمت متغيرات في شتى النواحي بين الأجيال يجب اعتبارها،  
 لئلا تكون التربية قسراً وإكراهاً يقتل شخصية أبنائنا ويفقدتهم الثقة بأنفسهم .. إن مصادرة شخصية  
 الولد من شأنها أن تصنع عنده عقوقاً لأنه يريد أن يحقق ذاته ولو غضب والداه، أو تصنع عنده ضياعاً  
 وضعفاً في الشخصية لأنه قرر أن يستسلم لإرادة والديه مع عدم رضاه داخلياً، مما يجعله مشتتاً مرتبكاً،  
 وهنا تنشأ وتكبر العقدة النفسية وحالات الاكتئاب والقلق، ثم النفاق والتصنع والازدواجية" (باختصار).

البر بالوالدين من ركائز الأخلاق الإسلامية واستقرار الأمن الاجتماعي ومن هذه الأخلاقيات  
 تتفرع آداب متنوعة لا حصر لها تهدف إلى الوصول بالإنسان إلى الكمال والسمو النفسي عبر طاعة الله  
 سبحانه. وهكذا وعلى ضوء المقاربات الفكرية السابقة تصبح التربية الأخلاقية (Moral education)  
 مهمة في ترويض النفوس وتأليفها مع إتاحة قدر كبير من الحركة والتغيير في مجالات متنوعة ذات صلة  
 بالآداب والاندماج الاجتماعي لاسيما في البيئة الأسرية. إن فهم ما سبق من شأنه توفير قدر من الفهم  
 العميق لحالات الاختلاف بين جيل الأمهات والبنات من أجل تفاعل سلوكي متزن وتوخي أساليب  
 تربوية منفتحة تتيح فرص انتقال القيم الكبرى بمرونة. علاقاتنا الحميمة بأمهاتنا تساهم في فهم تجارهن  
 وتحريك الفكر نحو المصالحة والتقارب والالتفاف جميعاً حول مكارم الأخلاق والمرونة أحياناً لتسع  
 اختلاف الآداب الذوقية والتي ترجع إلى الفروق الفردية والمكتسبات الفكرية والسمات العصرية الخاصة  
 بكل فرد وفق قناعاته.

### صداقة لا تنقطع في الأسواق

أنشطة الحياة اليومية ومن ضمنها عادة التسوق يمكن القيام بها بطريقة إبداعية تراعي تطبيق بعض  
 آداب الصداقة ومن النباهة تحويلها من أنشطة روتينية تقليدية مملة ذات هدف واحد إلى أنشطة ذات  
 أهداف متنوعة وبطريقة ممتعة إلى أقصى درجة. لا يتم ذلك المراد إلا بروح صداقة وقدرة على التخطيط  
 والترتيب وحسن إدارة الوقت والقناعة بضرورة تجديد أنشطتنا التقليدية وضرورة اتباع عادات حضارية



أكثر مرونة وأعظم نفعا على شرط أن لا يكون التسوق مانعا عن أداء الفرائض {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (النور: 37). السوق ساحة طبيعية للحياة المجتمعية يصل فيها البائع والمشتري وتقوم على قاعدة التنوع والاختيار، ومفتوحة للجميع ولا تنقطع فيها روابط الطاعة والعبادة والتقوى. يقوم الناس في قضاء شؤونهم وشراء السلع التي تجلب من أقطار الدنيا لتبادل المنافع.

من وظائف الصداقة بين البنت والأم أن تنمي ثقافة توطد الاعتدال في التجميل والعناية بالنفس فتستشير البنت والدتها في هذه المجالات الحياتية الضرورية. التسوق في حدود الاعتدال من أجمل الأنشطة التي تتدرب الفتاة مع والدتها على مفاهيم حياتية عديدة لتتعرف على معايير اختيار ملابسها وعبورها وحاجياتها الشخصية المتعلقة بعالم الإناث في ضوء تناسق الألوان، وأشكالها، وأسعارها، وأسس الضرورات الجمالية. وخلال هذه الفترة في التسوق يمكن استثمارها في أداء الصلاة إذا حان موعدها علما بأن المجمعات التجارية حريصة على تخصيص أماكن لصلاة النساء. ويمكن أيضا استغلال فترة التسوق في جلسة حوارية قصيرة لتناول وجبة طعام خفيفة أو شرب الشاي والقهوة فإن هذه الجلسات عادات صحية يمكنها تجديد دائرة علاقات الصداقة بما يشجع الصداقة الأسرية ويزكيها ويزيد من فاعليتها. وتستطيع الفتاة برفقة والدتها زيارة طاولات التوعية الصحية والدينية والوطنية والاجتماعية وهي أنشطة ثقافية بدأت تنمو في الأسواق التجارية الكبيرة وهي فكرة ذكية ذات منافع عظيمة. إن دور البنت أن تغتنم صحبة والدتها فتبادر إلى فتح المواضيع الحوارية وأخذ الاستشارات السريعة إن أمكن بغرض توسيع ثقافتها وتحقيق التواصل مع والدتها. ودور البنت أن تلاحظ حرص والدتها على تلبية احتياجات الأسرة عبر التسوق وتأخذ منها تحمل المسؤولية، وحسن اغتنام الوقت، وتحقيق مطالب الأسرة بطرق إدارية ناجحة. لم تعد الأسواق كما كان عليه الحال في السابق بل أخذت بساليبها وإيجابيات تشهد تحولات كثيرة يمكن استثمارها واجتناب إشكالاتها. اليوم قد تجلس الأسرة في المجمعات التجارية لساعات طويلة دون الشعور بالملل بسبب كثرة المرافق المتنوعة المتوفرة، والخدمات الراقية فيها.

ومن حسن التسوق اقتناء الكتب المفيدة والمجلات النافعة والإصدارات الفكرية المتنوعة فإنها أغذية للروح وجمال للذهن ويمكن للأم أن تقدم استشاراتها لك إن كانت ذات ثقافة جيدة في هذا الجانب. إن قيمة الإنسان تتجلى في الأمور التي تشغل باله فإن كانت في سفاسف الأمور كانت الخسارة جسيمة والنتائج أليمة. وهكذا يمكن استثمار عملية التسوق لتحقيق منافع شتى تشد من عضد الصداقة فالسوق الواعي المخطط له بعناية وسيلة للترويج عن النفس عبر الجلسات الحوارية ولتعلم البنت ثقافة اللباس، ولتنمية العلاقات عبر المناقشة والاستشارة، والاهتمام بجماليات المظهر والجوهر دون أفراد أو تفريط، وتشجيع التجميل المعتدل لا التبرج المبتذل. ويتم ذلك كله على أساس الأخلاقيات الإسلامية

الرفيعة التي تجعل التسوق مسئولية وفرصة لتعلم وتطبيق بعض الآداب الاجتماعية والدينية والثقافية ولتأمين مآرب اقتصادية أخرى. لقد جاء الإسلام حقا وصدقا لنهضة المرأة خلقا وروحا ومظهرا وصدق الشاعر السوري أديب محمد سعيد التقي (1313-1365هـ/1895-1945م):

وَهَضَّةُ الْأُمَّةِ أَنْ تَرْتَقِيَ      فِي خُلُقِكَ السَّامِي وَفِي حَشَمَتِكَ  
أَسْعَدَكَ السُّدَيْنِ بآدَابِهِ      فَلا تُحِيلِيهِ إِلَى شِقْوَتِكَ  
أَلَمْ يَكُنْ أَحْمَدُ فِي مَا مَضَى      أَوَّلَ مَنْ حَضَّ عَلَى هَضَّتِكَ؟

### خلافات بين الأم وابتنتها بشأن المبالغة في اللبس

الجمال ما تستحسنه النفوس وتستريح إليها، وما تفضله العقول وتطرب لها علاوة على ذلك فالجمال رؤية مخلصه للحقائق بنظرة مليئة بالأمل وكما قال إيليا أبو ماضي "كن جميلا تر الوجود جميلا":

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا

الإنسان مفطور على حب الجمال الخالد بكافة ألوانه المادية والمعنوية، ومن الحكمة أن لا نجعل النعمة نقمة عبر المبالغة والإسراف فيها. إن مخاوفنا من موجة التركيز على الجسد والجنس التي تكتسح أرجاء العالم هي التي يشعر بها العقلاء في الغرب حيث تقول الكاتبة والروائية العالمية مؤلفة سلسلة روايات هيري بوتر جي كي رولنج (JK Rowling) على موقعها على شبكة الإنترنت: "إنني أخشى على بناتي هذا الهوس بالجسد من جهة، والإهمال الواضح للعقل من جهة أخرى".

تشاهد البنت المراهقة التلفاز لمدة تقارب 20 ساعة أسبوعيا، وخلال ذلك تنظر إلى عشرين ألف إعلان تجاري سنويا مما يشكل بصورة أو بأخرى ثقافة الفتيات عن أنفسهن وأجسادهن فيتسابقن في نحافة الجسد طمعا في إضفاء الطابع الجمالي على أجسادهن إلى درجة فيها مبالغة شديدة. تصور وسائل الإعلام المرأة بصفات إيجابية من مثل المرأة الذكية والمبدعة والفاضلة والقوية واللطيفة ولكن الإغراء الجسدي يطغى على الأوصاف الأخرى فتغيب القيم الأخلاقية وتبرز قيم الإغراء إلى درجة مرضية بغرض تسويق فكرة الفتنة الجنسية واللذة الحسية. تسعى وسائل الإعلام -في ذات الوقت- إلى تكريس فكرة الشراء والاستهلاك وتشجيع الصناعات التجميلية ومستحضراتها لتحسين مظهر الفتيات فيشعرن أن ما لديهن من سلع غير كافية (inadequate) فيقمن دائما بشراء الجديد نظرا لشعورهن بالنقص. ستتدهور الحركة الاقتصادية إذا اقتنعت المرأة بملبسها وشعرها وعطرها وشكلها إن الاقتصاد المريض اليوم يضخم احتياجات الفتاة ويجعل الكماليات وكأنها ضروريات لضمان انتشار البضائع، واستمرار السلوك الاستهلاكي. تشير الدراسات إلى أن ما لا يقل عن 40% من الفتيات يقمن باتباع برامج الحماية

(الرجيم) رغم أن الكثير منهم لا يعانون من زيادة الوزن. الجمال السام (pretty poison) هو الجمال الذي يريد أن يبلغ مرحلة الكمال والروعة عبر التضور جوعا والحرمان من الطعام بصورة منتظمة مما يرهق روح الإنسان مجرد تقليد نجوم السينما! (Shaffer & Gordon, 2005, p. 21, 22).

إن تجديد المظهر والعناية به أمر محمود وفطري إذا لم يتجاوز حد الاعتدال. الهوس والولع والبذخ هو المرفوض فكريا وسلوكيا. المهم أن إضفاء الطابع الأثوي الجمالي وليس اللائق من اللباس يجب أن لا يصل إلى حد الإسفاف والتكلف. ينبغي أن لا تؤثر عملية التسوق على ميزانية الأسرة ولا على حساب قيم وأخلاقيات الفرد والمجتمع، وعلى البنت الابتعاد عن النحافة المرضية وكذلك السمنة. الاعتدال خير موجه للسلوك الإنساني في كل أحواله. كل أنثى تحب بفطرتها نضارة الوجه، وطيب الرائحة، والنظافة المتواصلة، والنفاسة في الثوب، والتجمل باعتدال فإله جميل يحب الجمال ويجب أن يرى أثر النعمة على خلقه بشرط ترك الإسراف، وترك مستحضرات التجميل الضارة، ونبد التقليد الأعمى، والشراء لمجرد الشراء. إن العناية برائحة الجسم والفم وسلامة الجلد ومعاهدته وترطيبه بالكريمات والعطورات المناسبة وإزالة الشعر الزائد والتخلص من رائحة العرق والاستحمام على نحو منتظم، من أسباب الراحة النفسية المضمونة، والسلامة الصحية المأمونة. إن استخدام أدوية التنعيف ذات المضار الجانبية يجب الابتعاد عنها إلا بتوجيهات الطبيب المختص وخير من ذلك الانتظام في ممارسة الرياضة واتباع نظام غذائي سليم والتثقف في مجال العناية بالإنسان ظاهرا وباطنا.

تعني الفتاة بزینتها المكتسبة وتجمل بالثياب الجميلة، والفساتين الملونة، والحلي والكحل والخضاب، وكل ما يجري مجراه ويؤدي إلى التجمل المحمود لا التبرج المذموم. وفي المقابل على الفتاة أن تحذر الإهمال وقبح وكآبة المنظر وتبعد نفسها من الإهمال والتقصير في العناية بالهيئة والملبس. "عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ امْرَأَةً مَدَّتْ يَدَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ فَقَبِضَ يَدَهُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ بِكِتَابٍ فَلَمْ تَأْخُذْهُ فَقَالَ: "إِنِّي لَمْ أَذِرْ أَيْدِ امْرَأَةٍ هِيَ أَوْ رَجُلٍ" قَالَتْ: بَلْ يَدُ امْرَأَةٍ قَالَ: "لَوْ كُنْتُ امْرَأَةً لَعَيَّرْتُ أَظْفَارَكَ بِالْحِنَاءِ". قوله: "فقبض يده" أي [امتنع] عن أخذ الكتاب من يدها "لو كنت امرأة" أي لو كنت تراعين شعار النساء لخصبت يدك" (انظر: حاشية السندي على النسائي للإمام السندي، الجزء الثامن، كتاب الزينة: باب الخضاب للنساء، موقع المحدث). وورد في مسند الإمام أحمد "«لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً [فتاة] لَحَلَيْتُهَا وَلَكَسَوْتُهَا حَتَّى أُنْفِقَهَا [تتزوج]»».

اللبس المعتدل يتناغم مع الفضيلة ولا يدعو إلى استشارة الغرائز ونشر الفوضى والفرق بين التبرج وبين التجمل أن التبرج إثارة مفتعلة للفت الأنظار، أما التجمل كما يقول - محمد الغزالي - هو "صون الجسد واستبقاء محاسنه الطبيعية واستبعاد ما يشينها أو يشوهها، وذلك لا حرج فيه بل هو مطلوب... ملابس النساء تجمع بين الفضيلة والجمال، وتمنع التبرج والفساد" (بتصرف). يقول محمد فتح الله كولن

"إن الإنسان عندما يرى أحيانا امرأة مسحوقة تحت مظاهر الزينة لا يملك إلا أن يتساءل "ترى هل تلقى العفة والشرف والفضيلة التي هي زينتها الداخلية كل هذا الاهتمام لديها؟ إن الشيء الذي يرفع بقدر المرأة ويجعلها أثنى من الماس هو عمق عالمها الداخلي وعفتها ووقارها. فالمرأة غير العفيفة تشبه عملة زائفة، والخالية من الوقار لعبة وموضوع استهزاء. وفي الجو الخانق لأمثالهن لا يمكن الحديث عن جيل صحي" (بتصرف).

ونقرأ في موسوعة الأسرة الصادرة من اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أن الإسلام اهتم بمعلم شخصية المرأة ولباسها وزينتها وأباح "قدر من التزين المعتدل في الوجه والكفين واللباس المشروع... ولم يقرر طرازا محددًا بشأن اللباس، ولكنه فرض ستر البدن، ولا جناح في تعدد الطرز حسب الظروف المناخية والاجتماعية. لقد ساعدت هذه المواصفات العامة على توفير حرية حركة المرأة وتيسير مشاركتها في الحياة الاجتماعية" (ج1، ص 178، انظر أيضا الخياط، 2008م، ص 167). ورد في تفسير الوسيط في تفسير القرآن الكريم للطنطاوي نهي الإسلام "المرأة المسلمة، عن استعمال أي حركة أو فعل من شأنه إثارة الشهوة والفتنة كالمشيئة المتكلفة، والتعطر الملفت للنظر، وما إلى ذلك من ألوان التصنع الذي من شأنه تهييج الغرائز الجنسية".

حث الإسلام المسلمين على أن يكونوا في أحسن وأصلح زيٍّ وهيئةٍ فيكونوا كالشامة في الجسد، يستملحها الناظر. فيدل الثوب على التوقير والإكرام والاحترام والنظافة لكن بلا مبالغة ولا مباهاة ولا إعجاب ولا كبرياء. العناية في المركب والملبس مندوب إليه في الشرع ففي الحديث النبوي الشريف "فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ [القبح] وَلَا التَّفَحُّشَ". قال الصديقي في دليل الفالحين "ففيه تحسين المرء ثوبه وكذا بدنه لملاقاة إخوانه ورؤية أعينهم، فإن رؤيتهم تمتد إلى الظواهر دون البواطن حذراً من ذمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم فإن ذلك مطلوب في الشريعة، وفي الحديث دليل أن على الإنسان أن يحتزز من ألم المذمة ويطلب راحة الإخوان واستجلاب قلوبهم ليأنس بهم فلا يستقدروه ولا يستتقلوه، وهذه من باب إظهار نعمة الله سبحانه والتحدث بها" (باختصار). المذموم شرعا لبس الملابس الدالة على الغرور والكبر. روى الترمذي في سننه: باب ما جاء في الكبر "عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا وَنَعْلِي حَسَنَةً، قَالَ: إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ".

وورد في الموسوعة الفقهية الكويتية "المحافظة على مظاهر الأئمة: يعنى الإسلام بجعل الأئمة مُحَافِظُ عَلَى مَظَاهِرِ أُنُوثَتِهَا، فَحَرَّمَ عَلَيْهَا التَّشَبُّهُ بِالرِّجَالِ فِي أَيِّ مَظْهَرٍ مِنْ لِبَاسٍ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ أَيِّ

تَصْرُفٍ. وَقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ. وَفِي الطَّبْرَانِيِّ "أَنَّ امْرَأَةً مَرَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَلِّدَةً قَوْسًا، فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَالْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ". وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ: تَرْجُلَ الْمَرْأَةِ وَتَخَنُّتَ الرَّجُلِ. وَقَدْ أَبَاحَ لَهَا الْإِسْلَامُ أَنْ تَتَّخِذَ مِنْ وَسَائِلِ الرِّينَةِ مَا يَكْفُلُ لَهَا الْمُحَافَظَةَ عَلَى نُثُوتِهَا... وَيُبَاحُ لَهَا التَّرْتُّنُ بِلُبْسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ دُونَ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ زِينَةِ النِّسَاءِ" (ج7، ص 87-88، باختصار).

واستنادا لكل ما سبق، لا ريب أن الاهتمام بجمال أجسامنا وأثوابنا من مستلزمات وخيرات الحياة لكن دون مبالغة وبلا غرور. قال الشاعر أبو الفتح البستي:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحَدَمَتِهِ      أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِيمَا فِيهِ حُسْرَانُ  
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا      فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

قال علماءنا "وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَغْتَرُّ بِاللِّبَاسِ، فَإِنَّ الدَّاتَ أَشْرَفُ مِنْهُ، وَلَا يَغْتَرُّ بِالْأَجْسَامِ فَإِنَّ وِرَاءَ هَذَا الْجِسْمِ مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَرْفَى مَنْزِلَةً، وَأَعْظَمَ شَأْنًا". ويقول محمد فتح الله كولن "إنسانية الإنسان لا ترتبط بجسده المادي الفاني، بل هي في روحه المشتاق إلى الخلود. وهذا هو السبب الكامن وراء عدم وصوله إلى الإشباع والرضا أبداً عندما يعامل وكأنه جسد فقط". لا تكوني أيتها الابنة الذكية الزكية ممن انطلت عليها فكرة العناية بالجسد وإهمال العقل. "خدعوها بقولهم: حسناء" فراحت تبحث في الأسواق زينة البدن ونسيت نصيبها من جمال الروح. قال أمير الشعراء:

حَدَّعُوهَا بِقَوْلِهِمْ: حَسَنَاءُ      وَالغَوَابِي يَغُرُّهِنَّ الثَّنَاءُ

الاعتدال والتوازن والتواضع سر سحر الجمال البدني والروحي والعقلي، وصمام أمان للبنات والأمهات في كل الأوقات.

### فضل الهدية

يقول مارتن لوثر إن المشاعر النبيلة لمن يقدم لنا الهدية تجعل الهدية لا تقدر بثمن (Canfield and Others, 2005, p. 79). ورد في كتاب مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا الحديث التالي "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُنِيبُ عَلَيْهَا". وكان هذا الحديث تحت عنوان "الْهَدِيَّةُ تُدْهِبُ السَّخِيمَةَ وَتُورِثُ الْمَوَدَّةَ". يدل العنوان السابق على أهمية الهدية في أفق العلاقات الاجتماعية ودورها في ترطيب القلوب وتحسين النفوس.



5. هدية السفر عظيمة الأثر.
6. تغليف الهدية، وحسن مظهرها، وجودة محتواها من وسائل الإحسان في الأعمال.
7. الهدية الموفقة تنسي المريض مرضه، وتخفف أحزانه، وتضاعف سعادته.
8. كل إنسان يعشق التكريم والمديح والثناء والعطاء لاسيما بحضور الناس وفي الأعياد.
9. كوني مستمعة جيدة واكتشفي احتياجات والدتك المنزلية واجعلي هديتك تلي احتياجاتها.
10. تنويع الهدايا (ملابس، عطور، تحف) تضفي المسرات على الحياة.
11. الهدايا الثقافية (شريط سمعي-كتاب في الفكر-قصص اجتماعية-كتب طبخ-أفلام سينمائية) من وسائل الرقي والارتقاء.
12. الاستفادة من تجارب الصديقات في التفنن في شراء الهدايا لأمهاتهن من مداخل التجديد.
13. الهدية من صنع اليد (حياكة الملابس-رسومات) بركة وإشاعة لجو النشاط والتنافس والإبداع. مواصلة صنع الأطعمة الشهية، والمأكولات الصحية دلالة على الحرص على إدخال السرور والغبطة.
14. شراء هدية للأُم كي تقدمها لصديقة من صديقاتها من آليات توثيق الروابط الاجتماعية وتوسيع نطاقها.
15. إذا جاءت إليك هدية وأنت جالسة مع والدتك فاجعليها تنظر إليها فإن ذلك سيسعدها وإن كان يمكن اقتسام الهدية مع أمك فهذا خلق عظيم، ولهذا قالوا عن استحباب هذا الأدب «جلساؤكم شركاؤكم في الهدية»، «من أتته هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها». فإذا جاءت لك هدية وأنت في مجلس مع أقربائك وأخلص أصحابك فيستحب أن تعطيمهم بعضا من الهدية إذا كانت الهدية

يمكن تقسيمها وتوزيعها فإن هذا الأدب الكريم يزيد في الوفاق والتحاب وعلامة على بر الجليس، وإكرام الصديق، وهذا كله من محاسن الأخلاق مع الناس عامة فكيف بأملك أحب الناس إليك.

16. بحث الإسلام على إظهار المودة وترديد كلمات الحب وهذا من سمو أدب الإسلام في فهم مسارب النفس وأسرار العلاقات الاجتماعية. عن أنس رضي الله عنه قال: مرّ بالنبى رجل، فقال رجل: إني لأحبه في الله عزّ وجل، فقال النبي: «أَعَلِمْتَهُ؟» قال: لا، قال: «فَأَعَلِمْتَهُ» قال: فلقيت الرجل فأعلمته، فقال: أحبك الله الذي أحببتي له". قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. قال الشاعر:

قلت لمن أحببني في الله أحب أهله  
أحبك الله الذي أحببني لأجله

### الاستقلالية لا تتعارض مع الصداقة

الصداقة طريقة لتزكية النفس واستكمال فضالها عبر التواصل مع الآخرين وهذه الطريقة لا تعني الذويان في الصديق والسماح له بتقرير مصيرك فأنت شخصية مستقلة تنتفع بحكمة ولباقة من الأصدقاء والأقرباء بعيدا عن ضغوطات الحياة وبعيدا عن أهواء نفسك أو توجهات غيرك. تتم الاستشارة في دائرة تعاليم الإسلام وآدابه، واحترام القرابة فيما لا معصية فيه لكن ينبغي الاستقلالية في اتخاذ الرأي في نهاية المطاف. الاستقلالية لا تتعارض مع روح الصداقة ومقاصدها السامية.

نهي الإسلام أن يقول الإنسان لكل واحدٍ أنا معك وموافق على فكرتك دون تمحيص الرأي وتقليبه فالإنسان الذي يجري مع كل فكرة لا يدري عن أمره شيئا ولا رأي له. الاتباع دون دليل فيه إلغاء للعقل ولهذا فهو من مساوئ الأخلاق وبدل على ضعف الرأي واضطراب الشخصية. ففي سنن الترمذي "عن حذيفة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا". قال العلماء: وفي الحديث إشعار بالنهي عن التقليد المجرد حتى في الأخلاق فضلا عن الاعتقادات والعبادات. ولا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة بل يكون على بصيرة من أمره ويقين واضح.

لقد كفل الإسلام حرية الرأي والتعبير عنه في نطاق الأسرة والمجتمع ووضع لهذه الحرية ضوابط تحميها من الشطط. وهكذا فتحت التربية الإسلامية بسماحتها بابا لاستقلالية الفرد وقرنت ذلك



بالمسئولية وإعمال العقل فالحرية في الإسلام واسعة المدى، رحبة الأفق على أن حرية الرأي، والتعبير عنه ممارسة مهذبة يتم ممارستها بما لا يتنافى مع تعاليم الدين وآدابه وقيم المجتمع وقوانينه.

ولا يصحّ زواج في شريعة الله إلا بموافقة المرأة ورضاها وإجازتها، ولا يجوز شرعاً إجبارها على الزواج ممن لا ترضاه؛ فقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة أحاديث توجب استئثار الفتاة أو استئذانها عند زواجها فلا تُزوّج بغير رضاها، ولو كان الذي يزوجه أبوها. الشريعة تؤكد أن القوامَة شورى ورحمة ومودّة وليست رياضة قهر وتحكّم واستبداد (اللجنة الإسلامية العلمية للطفل، 2011م، المذكرة التفسيرية لميثاق الأسرة في الإسلام). لا يسر الفتاة أن تقاد هنا وهناك مسلوبة الإرادة ولا يليق بها اتخاذ قرار دون تدبر. إن الإخفاق هو مصير كل سعي يهملش أو يلغي شخصية المرأة، ومن يقبل بأن تصبح المرأة رهن جهل مطبق فإنه ظلم نفسه وأسرته ومجتمعه ودينه. للفتاة حقها المعلوم في اختيار تخصصها الدراسي، وجهة عملها، وزوجها وإبداء الرأي في الحدود المقررة شرعاً وقانوناً. الصداقة الأسرية ضمانة لتأمين الحقوق وأداء الواجبات على نحو صحيح.

### نقد غرائب الأخبار الضارة

الولع بترويح غرائب الأخبار ينتج الأخطار ويعكر مفهوم البر بالوالدين، ويحجب الصداقة الأسرية من غاياتها الصحيحة. هناك من يروج لقصص واهية عن بر الوالدين أساسها التخويف والخضوع والتسرع والعاطفة غير المنضبطة. ومن يتفحص عناوين ومضامين تلك القصص يستنتج أن الاستغناء عنها أسلم، والبعد عنها أحكم.

لقد سمعنا واطلعنا على مجموعة قصص في مسألة البر بالوالدين تدل كلها على قوة الوازع الديني وهي مجموعة قصص نافعة إجمالاً تم جمعها وطباعتها ولكنها تحتوي أحياناً على فهم غير رشيد فإن المطلع عليها قد يفهما فهما خاطئاً كان الأولى عدم روايتها إلا مع التعليق عليها أو الاستغناء عنها. إنها تحتوي على مفاهيم وعناوين غريبة ويمكن أن تفسر تفسيراً سلبياً ينعكس على فكر وسلوك الناشئة وكان الأفضل أن نتجنبها كي لا توحى للقراء بمفاهيم مشوشة. ومن تلك العناوين التي يمكن أن تسبب التشويش في الفهم ما يلي: ترفض الزواج لتخدم والديها-آثرت خدمة والديها على إكمال دراستها، قدمت ما تملك من مال دراستها لأهلها.... ضحت بدراستها من أجل والدها وأمها وهي مصابة بمرض ضغط الدم ... تخلت عن دراستها لتعين والديها...راحة والدي خير من دراستي...تركّت دراستها لتخدم والدها المشلول... تركت الدراسة من أجل مرض أمها .... وافقت على الزواج طاعة لوالدها ثم اقتنع برأي ابنته بعدم الموافقة.... تزوجته إرضاء لوالدها وهي تكره الزوج... ثم طلقها وبعدها تزوجت رجلاً صالحاً! يكبرني بعشرين سنة وقالت أُمي إن الرجل المناسب لا يأتي إلا مرة واحدة في حياة الفتاة فوافقت على الزواج منه! لعقت قدم أمها أمام النساء وقبلته... هذه عناوين في كتب مبثوثة وحديثة يتم

عرضها على سبيل المدح وهي في حقيقتها بحاجة إلى مراجعات منهجية جادة، وعقل نقدي فالأمة المسلمة مطالبة بالتفكير طبقاً لمنهج علمي صحيح يفصل المآثر عن المخاطر ويميز بين النافع والضار. إن التعامل مع الوالدين بحس مرهف مطلوب ومحمود ولكن يجب ألا يكون مدخلاً لتعقيد الحياة والتكلف في التعامل وضياع الحقوق. التضحيات يجب أن لا تولد عاهات الأمية الثقافية في مجتمعنا، والتضحيات لا تعني تأسيس أسرة مجرد إرضاء الأم، والتضحية لا تعني التفريط في الدراسة. الصداقة الواعية للأمم تثمر مواقف أكثر نضجاً وأعظم تضحية. التعامل مع التحديات وفق العقل والعاطفة أساس التربية العقلية السليمة.

إن القصص يجب أن تلتزم بالشروط التربوية التي تعكس جماليات وإبداعات الرؤية الحضارية للإسلام في بر الوالدين لتكوين شخصيات ناجحة وأمة مسلمة قوية. من المؤسف أن انتهت معظم القصص السابقة بنتائج عكسية لا ننشدها لبناتنا فضلاً عن ربطها ببر الوالدين. انتهت القصص السابقة بهجر المدرسة والتعليم ففلانة ضحت بدراستها من أجل والدها وأمها والأخرى تركت دراستها... وكان الأجل أن يكون العنوان أجلت دراستها لا ضحت بدراستها، كان الأولى بناتنا إتمام دراستهن -رغم ظروفهن القاسية- ولو عبر الدراسة المنزلية أو بيان العزم على مواصلة الدراسة لاحقاً. من الغريب انتقاء عناوين تهن من شأن التعليم وكأن طلب العلم يتناقض مع مفهوم البر بالوالدين. من العجب أن نقر زواجا يفتقد إلى عناصر النجاح ومقوماته لمجرد البر بالوالدة!

إن المبالغة في إيراد الغرائب يوجد عقلية سمعية ذات ثقافة هشّة مولعة بتضخيم الأخبار ومصدرها الرئيس وكالة يقولون كذا وقالوا كذا. إن الصداقات الحقيقية لا ترتضي أن تتناقل القصص دون فهم مغزاها ودلالاتها فعلياً تحري القصة الصحيحة في مقصدها ومضمونها وسندها. الجري خلف الأفاصيص الضافية الذبول يجعل البعض يلغي أسس التفكير العلمي المبني على الاستشارة الموضوعية والاستشارة الإيمانية.

القصص الصحيحة الناصعة البيئة المعالم فيها سعة وغنية عن تلك الأفاصيص التي تكتنفها الغموض وتحيط بها الشكوك. الغايات كثيرة والوسائل أكثر في البر بالوالدين ولا داعي لإيراد القصص المنفرة من التعليم أو التي تقلل من شأنه فالتضحية في حال الاضطرار لا تعني أن تترك البنت دراستها لخدمة أمها بل تحاول أن توفق بين الأمرين أو تأخر دراستها ريثما تتحسن الأحوال وتنفرج الأحوال. التضحية لا تعني أن تقبل البنت زوجاً لا تريده من باب البر بالوالدين وتذهب البنت لإنشاء أسرة تعيسة تجر على المجتمع الويلات بل على البنت أن تستخدم حقها الشرعي في التعبير عن رأيها وتحديد مسار حياتها بطريقة شجاعة ولبقة وحكيمة. هذه القيم الإسلامية الرشيدة التي ينبغي أن تسود واقعنا وهي دعائم صحبتنا لأمهاتنا كي تدوم المودة في ظل الرأي القويم، والإخلاص في الصحبة.

### الفصل الثالث: محفزات

نماذج نجحت في تكوين تواصل أسري ناجح

#### النصيحة العسلية

النصائح الصادقة كالثلوج البيضاء والمروج الخضراء تسر الناظرين وتستتر المقصرين وتبعث النفوس إلى تصفية أعمالها كما يتم تصفية العسل من الشوائب. الصديق الوفي الصادق في مودته مرآة صاحبه تُريه الملائم والمذموم في سلوكه بأسلوب التوضيح واللفظ لا التجريح والعنف. وبذلك تصبح النصيحة أكثر إقناعاً وقبولاً.

هناك من يطلقون صافرة النصيحة أمام الناس فلا يتم قبول النصيحة لأنها أصبحت فضيحة فالنصيحة أمام الناس تنفير. لأن أمهاتنا بشر يقعون في الخطأ كان علينا أن نصحهم برفق وفي السر ونبتعد تماماً عن أسلوب إطلاق صافرة النصيحة. الناصح ليس حكماً في ملعب ولا شرطياً في الشارع فلا حاجة للناس لسماع نصيحته دون حاجة. النصيحة أمام الناس غاية في الحرج وكأنها صفارة حكم المباراة أو شرطي المرور تلفت الأنظار.

حفظ التاريخ الإسلامي قصصاً رائعة للبنات الذكية الحكيمة التي تصوب الأخطاء باستخدام النصيحة دون أن تجرح المشاعر ودون أن تكسر الخواطر. القصص ذات قيمة معرفية كبرى منها قصة الفتاة الأمانة التي نصحت والدتها في السر فأصلح الله أحوالها.

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يتجول في طرقات المدينة ويتفقد أحوال رعيته كي يساعد المحتاج، وينصح الغافل، ويعين السائل، ولكنه ومن دون قصد سمع حواراً قصيراً بين أم وابنتها.

قالت الأم: يا ابنتي هيا بنا نخلط اللبن بالماء، قبل أن نبيعه للناس كي نربح مالا وفيراً.

قالت البنت بلطف: لا يا أماه هذه الفكرة غير صائبة... إن التجارة بلا أمانة خسارة... إن أمير المؤمنين عمر نهى أن يُخلط اللبن بالماء، والله سبحانه وتعالى يحب الصادقين... والمؤمن أمين.. أمين في كل حين.

كررت الأم طلبها، وقالت لابنتها: يا ابنتي أين عمر... إن عمر لا يرانا.

فقالت البنت: إذا كان عمر لا يرانا فرب عمر يرانا.

سكتت الأم برهة من الزمن وأخذت تفكر بكلام ابنتها المؤدبة واستحسنتم عمق إحساسها وشدة خشيتها ثم قالت الأم: صدقت وأحسنتم يا ابنتي وأستغفر الله لذنبك... إن الريح القليل بالحلال خير وأطيب من الريح الكثير بالحرام.

فرح عمر رضي الله عنه فرحا عظيما عندما سمع ذلك الحوار الجميل لأن النصيحة الصادقة، والأمانة الراسخة من مهارات الحياة السعيدة والتجارة الراجحة للصغار والكبار على حد سواء. كان عمر سعيدا لأنه وجد فطرة البنت سليمة، ومداركها تفتحت باكراً، وضميرها ينبض خيرا. إنها قصة أم غرر بها الطمع ولكن ابنتها أيقظت بواعث التوبة والخير فيها عبر حسن الصحبة، وصدق النية، وحلاوة الكلمة. قال أهل الفضل من العلماء "النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح مأخوذ من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه فشبّه فعل الناصح بما يتحراه من صلاح المنصوح بما يسده من خلل الثوب وقيل من نصح العسل صفاه، شبهوا تخلصه القول من الغش بتخلص العسل من الخلط... فالنصيحة فرض كفاية على الجماعة وعين على الواحد وهي لازمة بقدر الطاقة إذا علم الناصح أن المنصوح يقبل وأمن على نفسه وماله. قال بعضهم وإنما يكون الإنسان ناصحاً لغيره إذا بدأ بنصح نفسه واجتهد في معرفة ما يجب له وعليه ليعرف كيف ينصح". يحتاج "الناصح إلى علم وعقل وفكر صحيح ورؤية حسنة واعتدال مزاج وتؤدة وتأنّ فإن لم تجمع هذه الخصال فخطأه أسرع من إصابته فلا يشير ولا ينصح قالوا: وما في مكارم الأخلاق أدق ولا أخفى ولا أعظم من النصيحة (فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي، بتصرف). روى البخاري في كتاب «الأدب»، عن أبي هريرة «المؤمنُ مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيباً أصلحهُ» (ص 60)، وقالوا "صَدِّيقُكَ مَنْ صَدَقَكَ لَا مَنْ صَدَّقَكَ". وَعَنْ زَيْدِ بْنِ كُمَيْتٍ، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِأَبِي حَنِيفَةَ: اتَّقِ اللَّهَ. فَانْتَفَضَ، وَاصْفَرَ، وَأَطْرَقَ، وَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، مَا أَحْوَجَ النَّاسَ كُلَّ وَقْتٍ إِلَى مَنْ يَقُولُ لَهُمْ مِثْلَ هَذَا.

إن البنت الواعية الحصيفة هي التي تستقبل نصيحة أمها استقبالا حسنا، وتستطيع بسهولة أن تمارس العمل نفسه مع والدتها وهنا تصبح الصداقة في أرفع مستوياتها. ومن أمثال العرب "اسْمَعْ مِمَّنْ لَا يَجِدُ مِنْكَ بُدًّا". قال الميداني "يضرب في قبول النصيحة، أي أقبل نصيحة من يطلب نفعك، يعني الأبوين، ومن لا يستجلب بنصحك نفعا إلى نفسه بل إلى نفسه". المجتمع السليم هو المجتمع الذي يستخدم النصيحة بشروطها التربوية لقول رب العزة {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (التوبة: 71). وهكذا فإن النصيحة الحانية بين الأم وابنتها من أسباب زيادة الألفة، وضبط السلوك الاجتماعي، وحفظ النظام الإنساني، ورعاية حقوق الصداقة والقرابة. الصداقة تستقيم مع النصيحة وتفسد مع الوصاية.

### أبو هريرة يصنع الصداقة مع والدته

الأم باب من أبواب الجنة ومن موجبات المغفرة. وإذا كان الأمر على نحو ما سبق فإن أعظم المسرات أن يلزم المرء والدته يحوطها بالحب والرعاية وحسن الصحبة.

أبو هريرة رضي الله عنه، الصحابي الجليل الذي حفظ للمسلمين دينهم من خلال حفظ الأحاديث النبوية فجزاه الله خير الجزاء عن أمة الإسلام يضرب لنا مثلاً رائعاً بالبِرِّ بالوالدين. ذكر ابن حجر في الإصابة أن أميمة بنت صبيح أو صفيح هي والدة أبي هريرة اختلف العلماء في اسمها فجاء عن أبي هريرة أنه ابن أميمة وترجم الطبراني في النساء ميمونة بنت صبيح أم أبي هريرة.

عن يَرِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا جِئْتُ فَصَرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ فَسَمِعْتُ أُمَّيَ حَشَفَ قَدَمِي فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ حَضْحَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَأَعْتَسَلْتُ وَلَبَسْتُ دِرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبِّي أَنَا وَأُمَّيَ إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبِّبَهُمْ إِلَيْنَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا خَلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي (رواه مسلم).

ويروى أن أم أبي هريرة كانت في بيت وهو في آخر، فكان يقف على بابها ويقول: السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته فتقول: وعليك يا بني، فيقول: رحمك الله كما رببتني صغيراً، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً.

ولأن البر بالوالدين تغلغل في قلبه نجده يوجه الناس حول محاسن الأخلاق بعبارة موجزة؛ رأى أبو هريرة رجلاً يمشي خلف رجل، فقال: من هذا؟ فقال: أبي. قال: لا تدعه باسمه، ولا تجلس قبله، ولا تمس أمامه.

ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية ترجمة لأبي هريرة: "هو عبد الرحمن بن صخر. من قبيلة دوس، وقيل في اسمه غير ذلك. صحابي. راوية الإسلام. أكثر الصحابة رواية. أسلم 7هـ وهاجر إلى المدينة. ولزم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فروى عنه أكثر من خمسة آلاف حديث. ولاة أمير المؤمنين عمر البحرين، ثم عزله للين عريكته. وولي المدينة سنوات في خلافة بني أمية".

### أسماء تحسن صحبة أمها

وروى البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشرّكة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدّتهم مع أبيها فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال: نعم صليها". استنبط علماء الحديث مما سبق جواز صلة القريب ولو كان على غير دين الواصل، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أباح لأسماء أن تصل أمها ولم يشترط في ذلك مشاورة زوجها، قال: وفيه حجة لمن أجاز للمرأة أن تتصرف في مالها بدون إذن زوجها.

### أويس صاحب الدعاء المستجاب

أويس القرني، سيّد التابعين في زمانه مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بسبب بره بوالدته ولأجل ذلك رزقه الله دعوة مستجابة مما جعل عمر رضي الله عنه يطلب منه أن يدعو له بالمغفرة. أويس القرني كما في الحديث النبوي "له والدّة، هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت [يا عمر] أن يستغفر لك، فافعل". وكذلك فعل عمر رضي الله عنه. إن بركات البر بالأُم كثيرة منها نعمة الدعاء المستجاب، وحسن السلوك، وحب الناس فيا لها من غنائم كريمة طيبة لمن يعيش جمع مثل هذه المكاسب. وكان أويس القرني رحمه الله محبا للخير ودائم التفكير في الفقراء إذا أصبح أو أمسى تصدق بما في بيته من الطعام والثياب.

### حزن والدته أشد عليه الضرب

- كان أبو حنيفة كل يوم أو يومين من الأيام يضرب ليدخل في القضاء فيأبى ولقد بكى في بعض الأيام فلما أطلق سراحه قال: كان غم والدي أشد علي من الضرب. وكان رحمه الله برا بوالدته وكثير التصدق.

- حلفت أم أبي حنيفة بيمين فحنثت فاستفتت أبا حنيفة فأفتاها فلم ترض وقالت لا أرضى إلا بما يقول زرة القاص فجاء بها أبو حنيفة إلى زرة فسألته فقال: أفتيك ومعك فقيه الكوفة فقال: أبو حنيفة أفتها بكذا وكذا فأفتاها فرضيت.

- وكان يقول إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده "فينبغي لك أن تغير حالك حتى لا يعتم بك صديقك".

- ما رأى الناس أكرم مجالسة من أبي حنيفة ولا إكراماً لأصحابه.

- قال الذهبي: أبو حنيفة، النعمان بن ثابت التيمي الإمام، فقيه الملة، عالم العراق.

## ابنة أم الأطباء العرب

ولدت د. منى أبو الفضل في عام 1945م، لأسرة تعرف بالعتاء الفكري والخلق الرفيع، والطموح العالي والعمل التطوعي الذي نفع بفضل الله آلاف الطلاب والمرضى والأيتام والفقراء. والدها د. عبد المنعم أبو الفضل عمل أستاذًا للباثولوجي (علم الأمراض) بجامعة القاهرة، ووالدتها د. زهيرة عابدين أستاذة طب الأطفال، المحسنة الكبيرة، والطبية المعروفة بفعاليتها الثقافية والإنسانية والإسلامية، الحاصلة على لقب أم الأطباء المصريين. أسست زهيرة أول كلية طب متطورة بدولة الإمارات العربية (كلية دبي الطبية للبنات) عام 1986م ووضعت مناهجها التربوية المتطورة، وحصلت في مصر على وسام الدولة الذهبي تقديرا لمكانتها العلمية. وقدمت أبحاثا علمية بلغت 120 بحثا نشرت في مجلات علمية متخصصة عالمية، وهي رائدة الطب الاجتماعي، حصلت على جوائز عربية وعالمية.

تعلقت منى بوالدتها منذ طفولتها وكانت الأسفار تجعل صداقتها بوالدتها أشد قوة وأعظم مودة، وأدركت منى أبو الفضل أهمية الفكر الحضاري فأخذت من الشرق روح الأصالة ومن الغرب عناصر الإبداع والتجديد. عُرف عن منى أبو الفضل تأثرها بشخصية والدتها زهيرة التي كان لها أعمق الأثر في تكوين شخصيتها الواعية المعروفة بالإنتاج العلمي الرصين؛ فعلى الصعيد الإنساني؛ كان لشخصية الأم د. زهيرة عابدين - النموذج الفكري والعملية المنتج - دور مهم في توجيه حياة الابنة منى، إذ جمعت بين أصالة الفكر الإسلامي ومعاصرة الفكر الإنساني، ومسايرة الاحتياجات العربية وتليبيتها وفتحت صداقتها مع أمها آفاقا معرفية جديدة جديدة بالنظر. كانت منى تستمد من أمها زهيرة الصداقة الأسرية وكانت تعامل زوجها بروح الصداقة ذاتها وتنشرها في أرجاء أسرتها. يقول محمود هيبه "والدكتورة زهيرة لم تكن يوما ما دكتاتورة على أبنائها تفرض عليهم الأوامر وتوجههم بالشدة أو إلقاء الرعب في نفوسهم بل كانت دائما صديقة لهم". حصل أبنائها على شهادات علمية رفيعة وخدموا مجتمعهم وأمتهم على نحو مشرف.

وضعت منى أبو الفضل نصب عينها ضرورة التأصيل لخطاب نسوي عالمي يتسم بالموضوعية وينطلق من منطلق حضاري متميز يعكس روح الفكر الإسلامي المتفتح ويفارق الخطاب المتشدد ويخالف الفكر المتطرف الذي ساد قضايا المرأة بناء على منظومات معرفية نسجت حول الدين واكتسبت قداسته في الضمير الجمعي بدرجات متفاوتة. قامت منى بتأسيس كرسي زهيرة عابدين للدراسات النسوية في الولايات المتحدة وأشهرت جمعية دراسات المرأة والحضارة بالقاهرة لتخلد ذكرى أمها منهجيا، ولترفع شأن أمتها فكرا وعملا، تنظيرا وتنفيذاً.

وتفعيلاً لهذا المنظور الفكري الحضاري قامت منى أبو الفضل بتدشين مشروع "الأم أمة"، الذي يبحث في سيرة المرأة المسلمة المعاصرة، ويؤسس المشروع لمنهجية جديدة في كتابة السير تحت باب "السيراتوغرافيا"، وقد اتخذ من سيرة والدتها أم الأطباء الدكتورة زهيرة نموذجاً تطبيقياً في طرح واختبار هذه المنهجية، وقد صدرت أولى كتابات المشروع تحت عنوان: "أم الأطباء المصريين: مجلد تذكاري" قبيل انتقال الدكتورة منى أبو الفضل إلى رحاب ربها بفترة قصيرة (انظر، حافظ، 2010م). قالت منى أبو الفضل "الأم والأمة صنوان، بينهما وثاق يشد الأصل إلى الفرع، وعلى منواله تنسج العمارة، التي هي روح الحضارة". وقالت عن أمها "مثّلت الدكتورة زهيرة التي خرجت للحياة العامة من أوسع أبوابها مع حرصها على أولوياتها الأسرية، نموذجاً متوازناً نادر المثال نتمنى أن يتحول ظاهرة مشعة بين نساء الأمة".

هذه صفحة ناصعة من صفحات تاريخنا المعاصر قوامها صحبة أسرية مملوءة بثناء فكري واسع، وعمل نسوي مبدع تكشف حقا عن عقول نسائية راجحة، وأرواح أنثوية وثابة تتسلق للعلا، وتصل الغايات عبر جسور الأمومة والبنوة الرائعة. إنها صفحات من صفحات صناعة الذات وتنمية الإدراك والإيمان بالتواصل، ترسم للجيل الجديد خطوات الابنة الرائدة؛ الراعية في بيتها، والداعية في أمتها، والواعية لرسالتها الإنسانية السامية.

## تمارين

### تمرين رقم (1)

الرجاء قراءة النص التالي ثم وضع عنوان جديد له والتعليق عليه.

#### عظمة الشكر

"لا تنتظري إلى أن تقوم صديقتك أو زميلتك أو أخوك أو والدك بشيء رائع لكي تربتي على ظهره شاكرة. عليك أن تدركي أن أسهل وسيلة لإشعار الشخص بأهميته هو إخباره بمدى تقديرك لما يبذله من جهد، ولكن الشيء المؤسف هو أننا كثيرا ما ننسى ذلك وخاصة مع الأشخاص الذين يتواجدون حولنا طوال الوقت. نحن نعامل آباءنا دائما باعتبارهم آباءنا أي باعتبار أنهم يجب أن يعدوا لنا العشاء ويغسلوا لنا الملابس ويشتروها لنا ويوصلونا إلى المدرسة وصالة التدريب ودروس الموسيقى. طلبت منى ابنتي "ميليسيا" البالغة من العمر ستة عشر عاما، في يوم كنت أشعر فيه بإرهاك شديد (منذ الاستيقاظ من النوم) أن أسمح لها بدعوة صديقاتها لمشاهدة أحد الأفلام [في البيت]. وافقت على الرغم من شدة تعبي، ولكن ببضعة شروط وهي ألا تتعدى الجلسة الحادية عشر مساء وأن يلتزم جميعا بعدم الصباح وأن تلتزم هي بتنظيف الغرفة بعد انصراف صديقاتها... لأنني لا أريد أن أضيف إلى تعبي المزيد



من التعب. اتفقنا وعندما جاءت الصديقات انحالت علي الطلبات من كل جانب، الأسيرين، الخدمات، النصائح، التوصيل، الطعام. نفذت كل ما طلب مني ولكنني شعرت بالإرهاك ومع حلول الحادية عشرة وخمس عشرة دقيقة عند انصراف آخر الفتيات وإغلاق الباب فتحت ابنتي في الحال ذراعها عن آخرها واحتضنتني بشدة وشكرتني على كل ما فعلته من أجلها وأخبرتني بأنها سوف تقوم بإحدى المهام المنزلية بدلا مني في اليوم التالي. صدمت، وشعرت بسعادة غامرة أمام كل هذا العرفان والشكر وشعرت أيضا بأنني على استعداد لتكرار تلك التجربة المريرة ثانية في وقت لاحق. لقد كان رد فعلها مذهلا. إن القليل من الشكر والتقدير سوف يغمرك بالطبع بمشاعر لا قبل لك بها (كارنيجي، 2010م، ص 30-31، باختصار).

العنوان الجديد

التعليق

التمرين الثاني:

خصصي يوما للجلوس مع الوالدة واستعراض روائع الصور والذكريات العائلية من ألبومات الأسرة ثم أكتبي بعض التعليقات الطريفة ودوّني مشاعرك بعد انتهاء الجلسة الثنائية.

أبرز المشاعر والخواطر	أبرز التعليقات (منك أو من أمك)

التمرين الثالث

اختاري كتاباً أو مقالا عن العلاقات الأسرية أو فن التواصل وكسب الأصدقاء ثم قومي بتلخيص أهم الأفكار مع توثيق اسم المؤلف واسم الكتاب، وسنة النشر، واسم الدولة والمكتبة الناشرة للكتاب ورقم الطبعة.

---



---



---



---



---



---

### الخاتمة

البر بالوالدة رحلة حب بلا حدود وبلا سقف إنها رحلة لا نهاية لها ولكن لها آدابها وتحدياتها وخبراتها الخاصة التي نحتاج من حين إلى آخر إلى مراجعتها بروية، وتنميتها بدراية، وإخلاص القصد، وإيقاظ الضمائر، واستنارة البصائر. لا يمكن الوفاء بحق الأم فحقها كبير لكن لا مناص من التواصل الحسن معها عبر شكر فضائلها ومن يفعل ذلك فقد بلغ درجة عالية من النضج ولن تذهب جهوده أدراج الرياح.

تكتسب الفتاة من والدتها الكثير من معاني الأنوثة ومتطلباتها، وسبل أداء أدوارها الاجتماعية، وأبجديات الثقافة المجتمعية، وتتعلم فوق ذلك كله فقه الحياة المتمثل بتحمل تبعات الأعمال. إن أجمل ذكريات الحياة لحظات سعيدة مع الأم فهي ومضات تنير الروح. ومن أجل تحصيل ذلك كله لا بد من إنشاء علاقة إنسانية رفيعة ووثيقة بين البنت وأمها بحيث يصبح التعلم المستمر، والسؤال النافع، والتشاور السليم، والتهذيب العميق، وترجمة الوجدان من مبادئ اجتماعهما.

التربية الصحيحة هي الموصلة إلى علاقات أسرية متوازنة تطير بجناحي الحب والحكمة إلى أن تصل الصداقة الأسرية إلى قمم سامقة بقوة روحها، ورجاحة منطقتها، وسلامة ركائزها. تعاني مؤسسات التربية اليوم من جملة عقبات منها أن الجهود المبذولة في هذا المضمار غير مرتبطة بالحاجة الأسرية، وعندما تغذت الأجيال بالعلم والمعرفة وثقافة أيماننا الحالية لم يتم الاعتناء بالتربية الوجدانية والعلاقات الإنسانية إلا بقدر يسير شاحب فبقيت ساحة التعليم والتربية ناقصة تماماً ولم تتجاوز غاياتها الحصول على الشهادة

من أجل الوظيفة والتأهيل المهني فقط. التربية الصحيحة هي تربية من أجل التعلم للعيش مع الآخرين ورفع القدرة الذاتية للفرد وتهذيب أحاسيسه في درب العلاقات الإنسانية وتحقيق السلام والألفة والصداقة الأسرية الناصعة.

## أهم المراجع العربية

- أبو حيان التوحيدي (1428هـ - 2007م). *الصداقة والصديق*. دراسة وتحقيق: الشرييني شريدة. القاهرة: دار الحديث.
- أبو سريع، أسامة سعد (1414هـ-1993م). *الصداقة من منظور علم النفس*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- اسبلاندا، باملا (2006م). *قوائم الحياة للمراهقين: نصائح، توجيهات، إرشادات للنضوج، المصادقة، التعلم والمتعة*. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- الأمانة العامة للأوقاف (2001م). *سن التغيير: ليس اليأس.. لكن بداية مرحلة جديدة*. الكويت: الأمانة العامة للأوقاف: الصندوق الوقفي للتنمية الصحية.
- بكار، عبدالكريم (1428هـ). *إلى أبنائي وبناتي: 50 شمعة لإضاءة دروبكم*. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.
- بكار، عبدالكريم (1428هـ). *الرحلة إلى الذات (3): عصرنا والزمن الصعب*.
- بكار، عبدالكريم (1430هـ). *التواصل الأسري: كيف نحمي أسرنا من التفكك*. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.
- بيتر، رون هيرون وفال جيه (2010م). *اكتسب الأصدقاء والأفياء وكن واحدا منهم*. ط3، الرياض: مكتبة جرير.
- بينسون، بيتر وآخرون (2007م). *ما يحتاجه المراهق للنجاح*. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- الثويني، محمد (بدون تاريخ). *كيف أكون صديقا لابني؟* الكويت: الأمانة العامة للأوقاف.
- الجزيري (بدون تاريخ). *الجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي*. بيروت: عالم الكتب.
- الجمعية الطبية الكويتية (1999م). *الفتاة.. وعمر الزهور*. الكويت: الأمانة العامة للأوقاف: الصندوق الوقفي للتنمية الصحية.
- حافظ، فاطمة (2011م). *منى أبو الفضل والتأسيس الحضاري للمعرفة النسوية*. موقع د. نيفين عبدالحالقي (<http://dr-neveen.com>).
- ديورانت، ول ، ديورانت، إيريل (بدون تاريخ). *قصة الحضارة*. تونس: جامعة الدول العربية.
- الرباعي، زكي مهدي (1429هـ - 2008م). *دليل الآباء لتنمية مهارات الأبناء*. ط1، بيروت: دار ابن حزم.
- الرشيدي، بشير صالح والخليفي، إبراهيم محمد (1429هـ - 2008م). *سيكولوجية الأسرة والوالدية*. ط2، الكويت: إنجاز العالمية للنشر.

- الرشيدى، بشير صالح - الجناعي، منى بدر (1432هـ-2011م). دليل الآباء في تربية الأبناء. ط1. الكويت: إنجاز.
- الرومي، علي بن عبدالرحمن (1431هـ). تعامل الآباء مع احتياجات الأبناء: دراسة اجتماعية باستخدام مجموعات النقاش المحورية. في ندوة ماذا يريد الأبناء من الآباء. ط1، الرياض: مؤسسة ديوان المسلم.
- زايد، فهد خليل (1430هـ - 2010م). فن التعامل مع الأصدقاء. ط1، الأردن: دار النفائس.
- زايد، فهد خليل (1430هـ - 2010م). فن التعامل مع الأطفال. ط1، الأردن: دار النفائس.
- سوك، بنجامين (2009م). كتاب د. سوك لرعاية الطفل للقرن 21: دليل الوالدين لتنشئة الأطفال من الميلاد حتى المراهقة. إضافات وترجمة: روبرت نيدلمان. ط6، الاسكندرية: نخضة مصر.
- السقاف، أبرار بنت محمد (2009) الصداقة الأسرية. صحيفة دار الحياة السعودية (international.daralhayat.com).
- السلمي، أبو عبدالرحمن (1410هـ-1990م). آداب الصحبة. موسوعة الحديث الشريف على شبكة إسلام ويب (islamweb.net).
- سمولي، جاري (2010م). المفتاح لقلب طفلك: تنشئة أطفال متحفزين، ومطيعين، ومحبين. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- الشعراوي، محمد متولي (1432هـ-2011م). تفسير الشعراوي. موقع المصحف الجامع (mosshaf.com).
- الشماس، عيسى (2004م). موسوعة التربية الأسرية للأطفال "مواقف ومشكلات وحلول". دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- العوار، محمد سليم (2007م). بين الآباء والأبناء: تجارب واقعية. ط3، القاهرة: شركة نخضة مصر.
- فرانكل، فريد (2006م). الصديق الوفي، من الصعب العثور عليه. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- فضل الله، محمد حسين (1430هـ-2009م). دنيا الشباب. بيروت: دار الملاك.
- فضل الله، محمد حسين (1432هـ-2011م). من وحي القرآن. موقع بينات (arabic.bayynat.org).
- فكري، علي (2007). آداب الفتى. موقع الإيسيسكو : (isesco.org).
- القشعان، حمود (1431هـ-2011م). وقفة مع أسرنا: أسرنا أمانة. ط1، الكويت: دار اقرأ.
- قطب، سيد (1429هـ-2008م). في ظلال القرآن. ط37، القاهرة: الشروق.
- كاركان، صوفي (2010م). 100 قصة وقصة لحل مشاكل الأولاد. بيروت: دار الفراشة.
- كارنيجي، دونا ديل (2010م). كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس للمراهقات. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- كارنيجي، ديل (2010م). كيف تؤثر على الآخرين وتكسب الأصدقاء. ط2، الرياض: مكتبة جرير.

- الكندري، لطيفة (1423هـ-2011م). *تأديب الطفل باللطف لا بالعنف: مجموعة دراسات علمية محكمة*. ط1، الكويت: المركز الإقليمي للطفولة والأمومة.
- الكندري، لطيفة حسين - بدر محمد ملك (1432هـ-2011م). *سلسلة تربية الأبناء السادسة: اختيار الأصدقاء*. ط1، إدارة الصناديق الوقفية، الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية. الكويت.
- الكندري، لطيفة حسين - ملك، بدر محمد (2010م). *تربية الطفل في كتاب سير أعلام النبلاء*. مجلة *الطفولة*. جامعة القاهرة: كلية رياض الأطفال. العدد الرابع- يناير.
- الكندري، لطيفة حسين وملك، بدر محمد (1429هـ - 2008م). *تعليقة أصول التربية*. ط3، الكويت: مكتبة الفلاح.
- كولن، محمد فتح الله (1432هـ-2011م). *الموازن أو أضواء على الطريق*. موقع محمد فتح الله كولن. (ar.fgulen.com).
- لاند، مارغو سندر - يانكسب، جاك (2010م). *علم الأمومة والأبوة*. ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- ماضي، جمال (1430هـ-2009م). *كلام للشباب: رحلة للبحث عن صديق*. ط1، القاهرة: دار الصحة.
- ماضي، جمال (1430هـ-2009م). *كلام للشباب: فن التعامل مع الآباء*. ط1، القاهرة: دار الصحة.
- ماكجينيس، آلان (2007م). *عنصر الصداقة الأساسي: كيف تزداد قرباً ممن تحتم بأمرهم؟* ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- محمد، مها (1423هـ-2011م). *ابن متمرّد وأب متسلط*. مجلة *النهضة*، المجلد 41، العدد 2191، الكويت.
- المرجع الأكبر للتراث الإسلامي. شركة العريس. الاصدار الثاني.
- المسعد، طلال (2001م). *تناقضات تربوية*. ط1، الكويت: مكتبة الطالب الجامعي.
- المطوع، نسبية (بدون تاريخ). *كيف أكون صديقة لابنتي؟ الكويت: الأمانة العامة للأوقاف*.
- ملك، جاسم محمد - والفيلكاوي، أمل عبدالله (2008م). *مفكرة الأسرة*. الكويت: مؤسسة ديزاين وورلد.
- ملك، بدر، والكندري، لطيفة (1427هـ - 2006م). *تراثنا التربوي: نطلق منه ولا نغلق فيه*. ط2، الكويت: مكتبة الفلاح.
- المتاز (1432هـ-2011م). *كيف تتعرفين على الصديقة المخلصة المؤتمنة على أسرارك؟ الكويت: ملحق خاص بجريدة الوطن العدد 221، السنة 21*.
- موسوعة الأسرة (1432هـ-2011م). ط1، الكويت: اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
- الموسوعة العربية (2004م). دمشق: هيئة الموسوعة العربية.
- الموسوعة الفقهية (2008م). الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
- موقع أ. د. لطيفة حسين الكندري، (1432هـ-2011م). (latefah.net).

موقع التفسير (1432هـ-2011م). مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي في الأردن:  
(altafsir.com).

موقع المحدث (1432هـ-2011م). (muhaddith.org).  
ميتشل، أليسون (2011م). دليل الأمومة الرشيدة. ط1، مصر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية.  
الميلادي، عبد المنعم 2006م. الأبعاد النفسية للمسن. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.  
النعيمي، مريم عبدالله (1426هـ - 2005م). المملكة الأسرية. بيروت: دار ابن حزم.  
هاينز، سيندي (2009م). كتاب الصداقة : من أجل حياة أفضل. ط3، الرياض: مكتبة جرير.  
ياجر، جان (2008م). عندما تصبح الصداقة مؤلمة. ط3، الرياض: مكتبة جرير.

### أهم المراجع الأجنبية

Canfield, M & Others (2005). *Chicken Soup for Fathers & Daughters soul*. Florida: Health Communications.

Dewar, G (2009). *Should parents be friends with their kids?* (parentingscience.com).

family. (2011). *Encyclopædia Britannica*. Chicago.

Fuller, C & Plum, A (2010). *Mother – Daughter Duet: Getting to the Relationship You Want with Your Adult Daughter*. Colorado: Multnomah Books.

Gillot, L & Sibiril, V (2005). *Dealing with MOM: how to understand your changing relationship*. New York: HNA.

Glass, C (2010). *Happy Kids: The secret to raise well-behave, contented children*. UK: Harper.

Hubbard, L. Ron. (2011). *Encyclopædia Britannica. Encyclopædia Britannica Ultimate Reference Suite*. Chicago: Encyclopædia Britannica.

Kelly, J (2011). *The dad man dot com* (thedadman.com).

Lamanna, M. and Riemann, A (2009). *Marriages and Families: Making Choices in a Diverse Society*. Tenth edition. Thomson: Australia.

Parker-Pope. T (2009). WELL: What Are Friends For? A Longer Life. The New York Times: (nytimes.com).

Perigot, J (2007). *Dealing with DAD: how to understand your changing relationship*. New York: HNA.

Scientology. (2011). *Encyclopædia Britannica. Encyclopædia Britannica Ultimate Reference Suite*. Chicago: Encyclopædia Britannica.

Shaffer, S. M & Gordon, L. P (2005). *Why Girls Talk--And What They're Really Saying: A Parent's Survival Guide to Connecting with Your Teen*. McGraw-Hill. Place of Publication: New York.

Thoreau, Henry David. (2011). *Encyclopædia Britannica Ultimate Reference Suite*. Chicago.